الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر
للعلوم الإسلامية
قسنطينة

كلية الآداب
والعلوم الإنسانية
قسم التاريخ

رقم تسلسلي....

رقم تسجيل.....

دور الاستخبارات الفرنسية

في احتلال المدن الجزائرية 1830-1844

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ، تخصص المدينة والحياة الحضارية في الغرب الإسلامي (القرن 1-13هـ/7-19م)

إعداد الطالب الباحث:
جمال بودغدغ

إشراف الأستاذ الدكتور:
عميراوي احميده

أعضاء اللجنة	الاسم واللقب	الرتبة	الجامعة الأصلية
الرئيس			
المقرر	عميراوي احميده	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر
العضو			
العضو			

السنة الجامعية

1428/1429 ـــ 2008/2007

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصرِ إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ
إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ
وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبرِ.
صدق الله العظيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بسم الله الرحمن الرحيم

والعصرِ إن الإنسانَ لفي خُسْرٍ
إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحاتِ
وتواصوا بالحقِّ وتواصوا بالصبرِ.

صدق الله العظيم

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الإهـــــداء

الى التي حملتنا ، و احتملتنا ، وأرضعتنا من المحبة أصفاها ، و من الكرامة أعذبها و أوفاها ، ومن الإخلاص أحلاه و أغلاه.

إلى التي عشنا بحبها كرماء ، و في حبها نجباء ، ولحبها مخلصين اوفياء .

إليها ألفا في الأبجدية .

و لاما في الخلال اليعربية

وجيما في جلال السرمدية

زايا في الأزاهير الندية

و ألفا في النضال الحر من اجل الهوية

وهمزة في إسراء القلب من رباها الى رباها البهية

و راء في الثورة و المكرمات و الرسالات القدسية

إليها مرددا مع الشاعر قوله

" لم يحل بعد الله ثم محمد اسمك سوى اسم الجزائر في فمي "

إلى " الجزائـــــــــر "

المخلص جمـــــــال

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مختصرات مستعملة

◊ A. M. G. = Archives du ministère de la Guerre à Vincennes

◊ A. N. T. = Archives Nationales tunisiennes

◊ A. O. M. = Archives d'Outre - mer à Aix-en-Provence

◊ R. A. = Revue africaine

◊ R. H. M. = Revue d'histoire maghrébine

◊ S.N.E.D = Société nationale d'édition et de diffusion

◊ ج= جزء

◊ ش. و. ن. ت= الشركة الوطنية للنشر والتوزيع

◊ م= مجلد

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتأسس هده المقدمة من النقاط الأتية:

1- التعريف بالبحث و حيثياته

2- الهدف من إختيار الموضوع

3- فترة الموضوع

4- منهج الدراسة

5- الصعوبات

6- ثبت و نقد بعض المصادر و المراجع

7- محتوى الموضوع

1- التعريف بالموضوع وحيثياته:

قدمت في السنة الماضية مشروع بحث قصد التسجيل في الدراسات العليا، للحصول على شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر بعنوان:

دور الاستخبارات الفرنسية في احتلال المدن الجزائرية 1830-1844.

حيث التزمت و تعهدت مع نفسي بإنهاء الموضوع في وقته المحدد بسنة واحدة.

وبرغم صعوبة البحث في هذا الموضوع، وبرغم الظروف التي لم تساعدني في جمع المادة الخبرية بسهولة، فبرغم ذلك كله فقد انكببت وبقوة على إنجاز هذا العمل، وتقديمه بهذه الصورة. و إن أملي كبير في أن يحظى بتقويم علمي طيب من لجنة القراءة من الأساتذة، أكون بعدها على استعداد للاستمرار في البحث في مستوى الدكتوراه.

و هذا الجهد الذي أقدمه يعود الفضل فيه إلى كثير من أساتذتي الأفاضل وإلى كثير من المهتمين بالبحث العلمي التاريخي. إذ تشاورت مع من هم في الميدان، واطلعت على كثير من المصادر والمراجع؛ الأمر الذي شجعني أكثر على الاستمرار في البحث.

وقد سبق لي أن طرحت سؤالا في إشكالية المشروع الذي قدمته إلى المجلس العلمي لكلية الآداب والعلوم الإنسانية في جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، وهو لماذا اختيار هذا الموضوع بالذات؟

من المفروض أن يكون الجواب عن هذا السؤال لاحقا، لكنني أقول، إنه من خلال دراستي النظرية في مرحلتي اللسانس والماجستير، ومن خلال احتكاكي بكثير من المهتمين بتاريخ الجزائر، وبخاصة بمن لهم اطلاع على العلاقات الفرنسية الجزائرية، خلال المرحلة السابقة عن الاحتلال الأوروبي، و أثناءها، ومن خلال قراءتي لكثير من المراجع تبين لي أن جوانب كثيرة من تاريخ الجزائر في حاجة ماسة إلى دراسة، ومن بينها موضوع الاستعلامات أو الاستخبارات الأوروبية بعامة، و الاستخبارات الفرنسية بخاصة. سواء أكانت قبل الاحتلال، أم أثناء عملية الاستيطان الأوروبي. فهذا الموضوع التي يدرس بشكل أكاديمي، وبكيفية موسعة ومعمقة بحسب علمي.

ولا يعني هذا أنني سأقوم في هذه المرحلة بدراسة أكاديمية موسعة ومعمقة تفي بالمطلوب الكامل، وإنما سأقدم جهدا يضاف إلى ما سبق البحث فيه، على أمل أن يضيف غيرنا إليه شيئا لتكتمل الصورة، وتتضح معالمها حول هذا الموضوع.

لأنه وبحسب اطلاعي وقناعتي أن أغلب القراء في مستويات مختلفة، قد انطلت عليهم فكرة و هي أن دخول فرنسا الى الجزائر واحتلالها كان ردَّ فعل على ما قام به داي الجزائر من سوء معاملة ديبلوماسية حيث أهانَ القنصل الفرنسي دوفال، وهي القضية التي عرفت بحادثة المروحة. لكنه وبتمعن في هذا الزعم تتبين أن الحادثة تَعِلَّةٌ.

إن الحقيقة غير المستبعدة هي أن فرنسا سبق لها أن أعدت ملف الاحتلال بدقة. والسؤال الذي يمكن طرحه هو كيف أعد هذا الملف؟ ومن هي الأطراف التي أعدته؟ وبدقة أكثر هل للاستخبارات دور في هذا الإعداد؟ إن الإجابة على مثل هذه التساؤلات هي إجابة على إشكالية موضوعي.

فبالرغم من كثرة و وفرة المراجع، و المؤلفات التي تناولت موضوع احتلال فرنسا للجزائر سنة 1830. و بالرغم من وضوح السياسة الإستعمارية التي مارستها على الشعب الجزائري، عبر مراحل و محطات مؤلمة في تاريخ هذا البلد، فإن جانب الاستخبارات و دورها و كيفية توظيفها في عملية الإحتلال، و في عملية سقوط مجمل المدن الجزائرية في وقت زمني ضيق، لم ينل القسط الوافر من الدراسة، بحسب معرفتي، و قد أشير إليه بإختصار في موضوعات متفرقة.

و على هذا الأساس مرت إشكالية بحثي بمرحلتين، الأولى أثناء جمع المادة الخبرية كإجابة على مثل الأسئلة السابقة الذكر. و الثانية خلال مرحلة التحرير، أي، بعد أن جمعت المادة و فرزتها و أخضعتها للأسئلة و فرضيات، و وضعت التصميم العام النهائي الذي جاء بهذا الشكل من المقدمة إلى الخاتمة مرورا بالفصول.

و لا يفوتني أن أسجل ملاحظة و هي أن مادة خبرية هامة جمعتها عن دور الإستخبارات الفرنسية و لم أضمنها في هذه المذكرة و هدا لسبب هو أنني إلتزمت بما هو محدد في عنوان بحثي زمنيا أي من 1830 إلى 1840.

2- الهدف من إختيار الموضوع:

إن تناول هدا البحث هو للإجابة على العديد من الأسئلة، و منها السؤال الذي راودني منذ أن كنت طالبا في مرحلة اللسانس، و هو كيف إحتلت فرنسا الجزائر و سقطت مدنها الواحدة تلوى الأخرى بسهولة و يسر و بأدنى مقاومة و جهد؟ و بهدف البحث عن أسباب ذلك لا سيما في ما يتعلق بالاستخبارات هو الذي جعلني أختار هذا الموضوع لإبراز أهمية و دور المعلومة و الخبر، و كيف و ظفت؟

إذن، فالهدف من تقديم هذا البحث هو دراسة جزئية هامة من تاريخ الجزائر، والمتمثلة في الاستعدادات الفرنسية ومحاولاتها للسيطرة على مدن الجزائر، وكيف وظفت جهود الأخرين مثل جهد المستشرقين، ومدونات الرحالة والمشاريع التي صاغها وسطرها موظفون فرنسيون خدموا في الجزائر، وكان منهم القناصل. بالإضافة إلى الباحثين والمفكرين الذين اهتموا بتاريخ الجزائر وجغرافيتها، و وضعوا خرائط لأهم المراكز والمدن الجزائرية. وألفوا كتبا هامة ومفيدة رسمت صورة الجزائر، ووضحت معالمها، من حيث التركيبة السكانية وتوزيعها، و من حيث علاقاتها الاجتماعية، الداخلية و الخارجية.

بناء على هذا الأساس يمكن القول إنه من غير المستبعد أن تكون تلك الآثار المدونة هي التي وظفتها السلطلة الفرنسية بشكل مباشر في احتلال المدن، بدءا باحتلال الجزائر العاصمة، وتكون قد سهلت لها أيضا الطريق لغزو المدن الداخلية.

أتوقع من خلال هذه الدراسة المختصرة و المتواضعة أنني وفقت في ملامسة كثير من الحقائق التاريخية، وبخاصة منها القضايا التي تتعلق بآلية السياسة الفرنسية المتمثلة في جمع المعلومات بهدف التوسع في مناطق نفوذ لم يسبق أن اعلنت عنها يوم الغزو الفرنسي للجزائر عام 1830.

مثلما أتوقع أنني أبرزت أدوارا أخرى قامت بها جهات ومنظمات غير حكومية فرنسية، في عملية الاحتلال الفرنسي للمدن الجزائرية.

و أتوخى من دراسة هذا الموضوع رصد بعض النتائج الهمة و المفيدة للدارسين، و مساعدتهم للتعرف على خلفيات و ميكانيزمات الاحتلال الفرنسي للجزائر، و للتعرف على الاطراف الفاعلة في عملية الغزو و الاحتلال و الاستيطان في الجزائر.

3- فترة الموضوع:

بحسب معرفتي أنه من الضروري منهجيا أن تكون للموضوع التاريخي بداية بسنة ذات حدث مميز، و كذلك نهاية بحدث مميز. و من خلال المادة التي جمعتها تأكد لي أن سنة 1830 التي وضعتها بداية لموضوع بحثي هي مناسبة، نظرا لما حدث من تحول كبير على إثرها. اذ انه من هذه السنة انطلقت عمليات الاحتلال للمدن الجزائرية الأخرى. أما سنة 1844 فهي نهاية فترة الموضوع و هي

السنة التي تم فيها احتلال مدينة بسكرة، باتنة، أي، بداية احتلال المدن في الجنوب الجزائري، التي اعقبتها سقوط واحة الزعاطشة عام 1849، و منها كان التوسع و إحتلال المدن الاخرى. مثلما كانت بداية قوية للاستخبارات والاستكشافات في الصحراء الجزائرية، الى أن تمكنت الاستخبارات من جمع معلومات هامة وظفتها السلطة الفرنسية في الوصول الى أقصى نقطة في الصحراء الكبرى.

4- منهج الدراسة:

اجتهدت في فهم و معرفة مناهج كثيرة، و وجدت المنهج الوصفي و المنهج الاستقرائي مناسبين لموضوع بحثي، حيث تتطلب الوصف لتلك الاحداث، و الجمع للمادة الخبرية المتعلقة بتا، ثم فرزها و ترتيبها، و تحليل بعضها، و الوقوف عن جوانب منها باستقرائها، لتأليف معلومات تاريخية هامة.

5- الصعوبات:

لم أكن أتوقع أن صعوبات كثيرة ستواجهني بالشكل الذي واجهتني به، و كنت أراهن على ما عندي من معلومات كانت تشغل بالي، و تقلق نفسيتي. مثلما كنت أراهن على حسن الاختيار للموضوع الذي استهواني. و اعترف بأن صعوبات كثيرة واجهتني في جمع المادة الخبرية و غربلة المعلومات، و كنت في حيرة بين أمرين، بين فكري و ضني (العقل و العاطفة) و اجتهدت في معرفة أيهما الأقرب مني، أي الأقرب الى الموضوع و الموضوعية، و هما:

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الأمر الأول: هل أخضع للعاطفة في تقويم المعلومات، و أصدر الحكم على الأحداث، و أهاجم الاستعمار، لأنه ضحى بقوافل الشهداء، و اسال الدماء، و كرس سياسة الاستعباد و الشقاء و خطف من الأبرياء الهناء؟

و الأمر الثاني: هل التزم الموضوعية و أحتفظ على الأمانة العلمية؟ و أكون بمثابة قاضي التحقيق، ل بمثابة النائب العام، أو القاضي الذي من مهامه إصدار الأحكام و الأمر بتنفيذها؟ أو بمثابة المفتي الذي يفتي و يترك الأمر معلقا لمن يقتنع و يطبق؟

إن هذا ليس بالأمر السهل و الهين، لأنني اشعر كأي باحث ري إحساس وطني عليه مسؤولية، نحو هذا البلد. و بالأخص في هذه المرحلة التاريخية الحاسمة من تاريخ الجزائر، مرحلة موضوع البحث، التي تفتقر الى نقص كبير في الحصول على مادة مصدرية جزائرية أو عربية إسلامية، عكس ما وجده من مادة دونت بأقلام فرنسية. هذا يجرني إلى الاعتراف بمدى الصعوبة التي تلقيتها في جمع المادة و فحصها لا سيما من المصادر الأجنبية الفرنسية. لكن هذه الصعوبة خفت حين وجدت سندا من الأستاذ عميراوي أحميدة، المشرف على بحثي. الذي كشف لي أهم المواطن و المراحل السياسية الفرنسية التي كانت قائمة و مدعمة بعامل الاستخبارات كمرصد ساعد رجال الاحتلال على التوسع و الاستيطان بأقل الأضرار. و قد زودني مشكورا بمادة مصدرية خدمت موضوعي بشكل مباشر.

6- ثبت و نقد بعض المصادر و المراجع:

تطلبت هذه الدراسة توظيف مصادر، و مراجع نادرة، و مراجع عامة. و مراسلات تم تبادلها بين رجال الاحتلال و جهات متعددة، أجنبية و جزائرية. لكن الملاحظ أن أغلب هذه المادة الخبرية كانت لفرنسيين و أوروبيين. و قد اعتمدت علة مصادر و مراجع أساسية و مراجع ثانوية.

فالمصادر الأساسية كانت من دور الأرشيف، خاصة من أرشيف شاطو دي فانسان و المختصرة بـــ (A.M.G) و سلسة H المتضمنـــة التقارير الرسمية.

و من باب النقد أرى كانت مطابقة للواقع، لأنها كانت موجهة للرسميين الفرنسيين ، الذين اتخذوا محتواها بصدق، و بدقة خدمة للعملية الاستيطانية. لأنها منهم و إليهم. و بحسب ما تولد عندي من رغبة إني سأواصل البحث في هذا الموضوع، خاصة و أن المادة متوفرة في هذا الأرشيف.

و من المراجع الأساسية أذكر:

كتابات شارل فيرو الذي يعد من الفرنسسين الذين كتبوا عن تاريخ الجزائر و عن مدنها ، و عن علاقات السكان برجال الاحتلال . وساعده في ذلك منصبه كمترجم للجيش الفرنسي . فعالج تاريخ الجزائر الحديث بشكل مكثف و متميز ، في مؤلفات عديدة ، و مقالات متعددة ، و عليه لا يمكن الاستغناء عنها في أي بحث يتناول تاريخ الجزائر .

أيضا أن فيرو من المسشرقين الذين اهتموا بالثقافة الجزائرية و باللغة العربية و بالحياة اليومية للجزائريين ؛ لأنه كان يعمل بصفة رسمية كمترجم للجيش الفرنسي .

بالإضافة إلى دلك انه أعتمد على مصادر هامة في وقته. واعتمد على المشاهدة بغرض الانتقاء و التخطيط

من المصادر الهامة مراسلات سانت آرنو، فهي من المصادر النادرة في تاريخ الجزائر الحديث. بحكم أن كاتبها شاهد عيان، و من الرجال الدين كانوا على دراية كبيرة بالعوامل المفسرة لطبيعة الحياة السائدة آنداك في الجزائر. فميزتها أنها دونت أهم الأحداث، خلال الفترة الممتدة من عام 1837 الى نهاية عام 1847. فهده المراسلات تبين لنا أمورا كثيرة، خاصة فيها يتعلق بالسياسة العسكرية الفرنسية.

و قد اعتمدت على رسالتين في مستوى الدكتوراه، الأولى بعنوان: الجالية الفرنسية و دورها الاقتصادي و السياسي في الجزائر أواخر العهد العثماني. و الثانية بعنوان: السياسة الفرنسية و المقاومة الوطنية في الشرق الجزائري. حيث تتبعت مصدر المعلومة فيهما، و بنيت منهما معلومات دالة.

بالإضافة إلى مراجع هامة، استفدت منها كثيرا، مثل:

* Léon berjaud, **Boutin agent de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française.**
* Ledrmann (E.), **Philippeville et ses environs,**
* Marcel Emerit, Alger en1830n d'après les mémoires **inédits de le May* Maurice** (C.W), **la vie du général Yusuf**
* Nettement (A.), **histoire de la conquête d'Alger**
* Roux (Ch.) **France et afrique du Nord avant 1830, Félix Alcan, Paris 1932**
* Recueil des mémoires : province de Constantine
* Solal (A.), Phip*lippeville et sa région

7- **محتوى الموضوع :**

من المتعارف عليه منهجيا أن المادة الخبلاية هي التي تحدد الفصول النهائية. و على هدا الأساس، و بعد أن تمكنت من جمع المادة و ترتيبها فقد تبين لي أن الموضوع يتكون من ثلاثة فصول، و مقدمة و خاتمة و ملاحق، و الفصول هي :

الفصل الأول :

أهمية المعلومة الاستخبارية في الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر عام 1830

و قد قسمت هدا الفصل إلى محورين أساسيين، هما :

- مفهوم و تأريخية الاستخبارات
- الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر

بينت فيه وظيفة المعلومات التي جمعها رجال الاحتلال، و كيف وفرت لهم أشياء كثيرة، و حققت لهم انتصارات عسكرية هامة.

الفصل الثاني :

دور المعلومة الاستخبارية في احتلال المدن الجزائرية 1830-1844، و قد قسمته إلى نقاط، تخص كل واحدة مدينة معينة، و بينت فيه دور المخبرين داخل الوطن و خارجه، فرنسيين و غير فرنسيين، الدين سهلوا لرجال الاحتلال أن يحتلوا مدنا كثيرة في شمال و جنوب البلاد.

الفصل الثالث :

مواقف و استعلامات، و قد خصصته لمواقف معينة لشخصيات كان لمعلوماتهم فعل مؤثرا في سقوط المدن، و بالتالي في التوسع شمالا و جنوبا.

بالإضافة إلى خاتمة و ملاحق.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الأول

أهمية المعلومة الاستخبارية في الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر عام 1830

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سنتناول في هذا الفصل بشيء من التركيز نقطتين أساسيتين هما:

1- **مفهوم و تأريخية الاستخبارات**

2- **الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر**

1- مفهوم و تأريخية الاستخبارات:

سنحاول تقديم مختصر عن مفهوم الاستخبارات، من حيث المدلول اللغوي و من حيث التطور التاريخي. و هذا قصد الإجابة على ما إذا كان لموضوع الاستخبارات من قيمة تاريخية ؟ وهذا للتعرف على دور الاستخبارات الفرنسية في احتلال المدن الجزائرية.

1-1- الاستخبارات لغة: الاستخبارات مشتقة من خبر. و كلمة **الخبير** من أسماء الله عز و جل، أي العالم بما كان و ما يكون، و خبرا بالأمر أي علمته و خبرته، و خبرت لأمر اخبره إذا عرفته على حقيقته. و جاء في قوله سبحانه و تعالى **' فاسأل به خبيرا'** أي اسأل عنه خبيرا.

و عن ابن سيده فالخبر يعني النبأ و الجمع أخبار و أخبير جمع الجمع فأما قوله تعالى **''يومئذ تحدث أخبارها ''**. معناها اليوم تزلزل تخبر بما عمل عليها. و خبر بكذا و اخبره.

و استخبره : سأله عن الخبر و طلب أن يخبره و يقال: تخبرت الخبر و استخبرت. الاستخبار و التخبير هو السؤال عن الخبر. و في حادثة الحديبية جاء قولهم انه بعث عينا من خزاعة يتخبر له خبر قريش أي يتعرف. يقال: تخبر خبر و استخبر إذا سال عن الأخبار ليعرفها [1].

1- ابن منظور، **لسان العرب**، م.5، دار صادر، ط.1، بيروت، ص.5

1-2- تأريخية الاستخبارات:

تاريخيا أن موضوع جمع الأخبار و الاهتمام بها قديم جدا، إذ أن قصص كثيرة ذكرت هذا الموضوع ، و نذكر من ذلك على سبيل المثال القصة الواردة في القران الكريم، إذ جاء في قوله تعالى '' و تفقد الطير فقال مالي لا أرى الهدهد ام كان من الغائبين لأعذبه عذابا شديدا أو لأذبحنه أو ليأتيني بسلطان مبين، فمكث غير بعيد فقال أحطت بما لم تحط به و جئتك من سبإ بنبإ يقين'' (سورة النمل آية 22-19.

في فترات التاريخ الحديث و المعاصر يكون من الصعوبة بمكان تدوين معلومة عن أعمال تتعلق بأجهزة المخابرات، كأن تدلي ببيانات من دون أن تتعرض إلى ما يمس أمن الدولة. فمن المسلم به أن أحدا لا يكاد يتعرض إلى بعض الأعمال التي تنجح المخابرات في أدائها حتى يكشف عن شيء أو أشياء يستفيد منها عدو أو أحد الخصوم. لأن المخابرات هي التي تمد القائد بالأسس التي يبني عليها قراراته، و يخطط لجميع ما يقوم به من أعمال، و أنها هي مفتاح القرارات و الواقع. لأننا نعيش اليوم في عالم أشبه بغابة متوحشة، البقاء فيها للأقوى، يكون هذا الأقوى هو الذي يتحكم في العلاقات الدولية بتحكمه في المعلومة.

و الدارس لتاريخ الشعوب و الأنظمة تتبين له أن مرحلة نابليون بونابرت هي من المراحل التي نشطت فيها الاستخبارات، خاصة أثناء توسعاته في أوروبا و أسيا. حيث لمعت أسماء كثيرة في هذا الميدان، مثل جوزيف فوشي، وسفاري دوق دي روفيكو، هذا الأخير الذي تمكن فيما بعد من فرض سياسة الاحتلال الفرنسي في أهم المدن الجزائرية (1833-1830) و كذلك لويس الكسندر، و كان الناس يعرفون هؤلاء على أنهم أشهر جواسيس هذا العصر و أكثرهم نجاحا.

و يرجع الأمر أيضا فيما حققه نابليون من نجاح عسكري إلى آليات جمع المعلومات التي كان يحصل عليها المارشال لويس الكسندر رئيس هيئة أركان الحرب في ميدان العمليات الحربية، و خاصة المعلومات الطبوغرافية، و عمليات الاستطلاع على إقليم معين. فجمع المعلومات الطبوغرافية هي على غاية من الأهمية في نجاح كل عمل عسكري، لانه بها يتم إعداد الخرائط العامة، و الخرائط الخاصة للمواقع المراد ضربها أو احتلالها. و هي الجزء الأساس في عمل الإستخبارات و الاستطلاع، و بشكل مستمر دون توقف. و يتوقف النجاح في هذا العمل إلى حد كبير على مكتبات الخرائط التي تحتفظ بها أجهزة المخابرات و الاستطلاع. و كذلك بفضل المصادر العلنية، و المواد المصنعة يمكن لتلك الأجهزة الحصول على المعلومات الدقيقة حول الطبوغرافيا، مثل التضاريس، الطرق، و المواقع. و بخاصة مناطق الدفاع و الهجوم.

و جمع المعلومات لا يكون من مصادر و مواقع الطرف الأخر فقط، بل يكون عن و من جهات أخرى، مثل المعلومات عن الجو و الطقس و فترات العواصف، شدة الحرارة.

- لمزيد من المعلومات : يراجع كل من صلاح ناصر، في كتابيه: **حرب العقل و المعرفة، الحرب الخفية** ، (فلسفة الجاسوسية و مقاومتها)، منشورات الوطن العربي، بيروت . كذلك كتاب **سعيد الجزائري**، المخابرات تحرك العالم ، دار الجيل، بيروت.

و بفضل المعلومات الطبوغرافية و غيرها يسهل بعض الشيء تأليف معلومات دالة و إصدار التقديرات عن أماكن الدفاع، و أماكن حركة المرور، ووصف الشوارع و أنواع البناءات و المرافق. و المنشآت الحيوية الأخرى، توزيع السكان. كذلك تجمع معلومات حول الشواطئ و نقط الإرسال و المد و الجزر...الخ.

2- الحملة الفرنسية على مدينة الجزائر:

يؤرخ للوجود الفرنسي المدني التجاري في الجزائر بتوقيع اتفاقية سنة 1536 بين فرنسوا ملك فرنسا، و سليمان القانوني سلطان الباب العالي، إذ إن جل بنود هذه الاتفاقية الستة عشر (16) كانت لصالح الرعايا الأجانب، الذين غنموا بها امتيازات كثيرة، تجارية، ثقافية وحتى سياسية عسكرية [1]. و تدعم هذا الوجود بحصول فرنسا على اعتراف الباب العالي بحرية صيد المرجان في القالة بداية من عام 1604. و كانت الجزائر مطمع ملوك فرنسا، إذ انه سبق لشارل التاسع أن طلب من الباب العلي شراء الجزائر مقابل مبلغ من المال. و كيفما كان الأمر فالامتيازات تركزت في أهم المدن الساحلية مثل القالة، و القل و عنابة . و على هذا الأساس استمرت العلاقات بين الجزائر و فرنسا نموذجا متميزا.

كانت فرنسا – و خاصة – عهد نابليون بونابرت تفكر في القضاء على ما كان يسمى بالقرصنة في الولايات العثمانية جنوب البحر المتوسط. إذ انه قام بحملة

1- لمزيد من المعلومات عن الامتيازات الأجنبية يراجع عبد المجيد قدور، الجالية الفرنسية و دورها الإقتصادي و السياسي في الجزائر اواخر العهد العثماني **1750-1830**، دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الاسلامية. قسنطينة **2007**.

عسكرية ضد مدينة الجزائر بقيادة أخيه جيروم عام 1805 تمكنت من فك الأسر لعدد كبير من المسحيين مقابل مبلغ من المال. وفي مؤتمر فينا عام 1815 اتفقت كبريات الدول الأوروبية على ضرب مدينة الجزائر[1]. و لكن المحاولات الأوربية فشلت في القضاء على مدينة الجزائر العاصمة، مثلما سبق لها الفشل قبل هذا التاريخ خاصة أثناء و بعد حملة اكسماوث (Lord Exmaoth) .

و بقي الحال هكذا إلى أن اتخذت حكومة دي بولينياك من حادثة المروحة مبررا ظاهريا، و ذريعة واهية لفرض حصار بحري على ولاية الجزائر بداية من عام 1827، و بعدها قامت بحملة عسكرية عام 1830[2].

و السؤال الذي يمكن طرحة هل للاستخبارات دور في اتخاذ هذا القرار؟ وهو ما سأبينه لاحقا.

كان إصرار فرنسا على ضرورة احتلال الجزائر و فقا لما كان يرى الأمير دي بولينياك (De Polignac) رئيس الحكومة في هذه الحملة، على انها تحقق لأكثر من مكسب لصالح فرنسا. و لهذا كان إصراره على ضرورة احتلال المدن الساحلية الجزائرية لضمان مصادر تجارية لصالح المؤسسات الفرنسية في شمال إفريقيا [3]. كل هذا كان لا يتم في رأي دي بولينياك إلا في الاحتفاظ بالجزائر العاصمة، و بأغلب المدن الساحلية، لاسيما مدينة عنابة التي كانت تعتبر مصدرا هاما لتجارة حوض

1- يستحسن مراجعة: صلاح **العقاد، المغرب العربي**، ط.3، مكتبة الانجلو المصرية، القاهرة 1969، ص.79

2- يراجع: أرجمنت كوران، **السياسة العثمانية اتجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تعريب عبد الجليل التميمي. ط.2، تونس 1974، ص-ص.18-19. و يستحسن مراجعة:

Nettement (A.) . **Hsitoire de la conquête d'Alger Jacques Le Coffe, Paris 1856, p.-p 238-241**

3 – Roux (Ch.), **France et Afrique du nord avant 1830,** Félix Alcan, Paris 1932, p-p.502-503

البحر المتوسط، بينما كان الاعتبار في نظر بعض الساسة الفرنسيين أن تبقى بقية الأراضي للباب العالي. إلا أن وزير البحرية الجنرال دوسي(D'Hausser) أمر باحتلال جميع الموانئ. و قد أيده قائد الحملة المارشال دوبورمون (De Bourmont) الذي أكد للغرفة التجارية بمرسيليا قبل انطلاق الحملة بقوله بما معناه إن فرنسا ذاهبة لأخذ الجزائر و لإنشاء مستعمرة فيها، و لتأسيس حكومة بها يرأسها أمير فرنسي[1]. و هو الذي تم فعلا، حيث احتلت مدينة وهران عام 1831، و مدينة عنابة عام 1832، و بجاية عام 1833، و قسنطينة عام 1837، و منطقة قالمة عام 1936، و كل من سطيف و سكيكدة عام 1838، وزمالة الأمير العاصمة المنتقلة عام 1843، و كل من بسكرة و باتنة و الأغواط عام 1844، و غيرها من المدن.

و برغم المعارضة داخل فرنسا ضد مشروع الاحتلال إلا أن الحكومة الفرنسية نفذت خطتها، واحتلت مدينة الجزائر العاصمة، و أسقطت حكومة الداي حسين، واستولت على كنزه. في وقت كانت فيه فرنسا ملكية تعيش مرحلة ضعف.

و كان من أسباب نجاح ذلك دور الاستخبارات الفرنسية التي جمعت معلومات دقيقة، تمكنت بها من الانتصار السريع، و غير المكلف ماديا و بشريا بالنظر إلى المكسب الذي حققته فرنسا في الجزائر.

و بحسب قناعتي أقول إن الحكومة الفرنسية لم تخضع للمعارضة، و أصرت على الغزو و هي واثقة من الانتصار بفعل قوة المعلومات التي جمعتها من مصادر متعددة.

1- Valet (R.) **L'Afrique du Nord devant le Parlement au 19è siècle**, champion, Paris 1924, p.43

و كانت دول كثيرة شجعت الاحتلال الفرنسي، سواء كانت أروبية أو عربية و منها النمسا التي قدمت مساعدة بأن أرسلت بعض الضباط أمثال فردريك شوارتز امبرغ[1] (Frédérik Chauartz Emberg) الذي شارك في عملية الاحتلال عام 1830. و من غير المستبعد أن يكون من أهداف النمسا هو جمع معلومات استخبارتية أيضا عن الوضع في الجزائر، و عن نوايا رجال السياسة الفرنسية، أي هل هم باقون في الجزائر أو أن لهم نية العودة و الهجوم على بلاطات أوروبا.

و كان الموقف نفسه الذي التزمت به روسيا حين شجعت فرنسا على احتلال مدينة الجزائر.إذ انه في شهر ماي عام 1830 كتب القنصل الروسي الكونت بوزودي بورغو(B.Borgo) إلى القائد العام الفرنسي قائلا : إن الإمبراطور يتمنى أن يقبل ضابط متطوع تابع لوحدة الهندسة العسكرية ليشارك في الحملة و هو العقيد فيلوزولوف[2] (Filosoloff).

و من غير المستبعد أن يكون موقف روسيا مؤيدا لفرنسا بهدف جمع معلومات استخبارية عن نوايا فرنسا من البقاء في شمال إفريقيا، حتى لا يتكرر الخطر الذي هددها حين غزاها بونابرت عام 1807. و أيضا لتنفيذ المعاهدة التي أبرمت بينها و بين روسيا عام 1807، و عرفت بمعاهدة تيلسيت التي تم الاتفاق بينهما على تقسيم ممتلكات الدولة العثمانية. و الذي يؤيد هذه الفرضية موقف روسيا في مؤتمر أكس لاشبيل عام 1818 حين أقحمت نفسها بفرض مشاركتها

1- Nettement p.289
2- Nettement p.259

الدول الأوروبية في حملة ضد الجزائر، لكن تلك الدول تخوفت منها و امتنعت عن القيام بالحملة العسكرية.

و الموقف نفسه عملت به الدويلات الأوربية كأسبانيا التي أشركت ضباطا في الحملة مثل العقيد دون أنطونيو لاسكان (Don Antonoi Lascane)[1]. ومن غير المستبعد أن يكون هؤلاء الضباط قد جمعوا معلومات هامة وظفت بطريقة أو بأخرى.

و بعد سقوط مدينة الجزائر العاصمة، نشطت أجهزة الاستخبارات الفرنسية لجمع المعلومات عن بقية المدن الجزائرية الأخرى، الساحلية و الداخلية. و قد تمكنت من احتلالها بسهولة (و سأبين هدا في الفصل الثاني).

ادا فعملية الاحتلال و الاستيطان انطلقت بالتفوق الصناعي و العسكري و الاستعلامي. مع التأكد على أن هذه الحملة وقعت في وقت كان حكم الداي في الجزائر يعاني من وضع أمني غير مستقر، و توتر علاقات خاصة مع نظام الحكم في تونس، و غياب أجهزة محكمة مثل جهاز الاستخبارات، برغم أن عيونا في بلدان كثيرة كانت تزوده بأخبار دائما، إلى درجة أنه كان على علم بتفاصيل الحملة الفرنسية، لكنه لم يحسن توظيفها، لأنه لم يؤسس فريقا يقوم بدراستها مثلما حصل عند الفرنسيين.

1- Nettement p.289-290

يفهم من مواقف الأنظمة الأوروبية أنها كانت متخوفة من عودة الثورة الفرنسية، لهدا شجعت الحملة الفرنسية كي تتوسع في مناطق أخرى بعيدا عن أروبا.

لأن الداي كان يعلم بتفاصيل الحملة من عدة مصادر، منها أن قائد السفينة الجزائرية مصطفى بعث من الإسكندرية برسالة 16 جانفي 1830 يخبر الداي بتفاصيل الحملة الفرنسية[1]. و من جهة أخرى أكد الحاج أحمد باي بأن الداي حسين كان يعلم بمشاريع فرنسا، و لم يكن قلقا لا على نفسه و لا على مدينة الجزائر، و أن ما طلبه منه فقط هو أن يحصن عنابة[2]. و من جهة ثالثة قال سيمون بفاير: و كان الداي قد خصص مرتبات لعدد من الجواسيس في كل من إيطاليا و مرسيليا و طولون و باريس فنقلوا له ذات يوم خبرا مفاجئا و هو أن فرنسا تعد أسطولا رهيبا لإرساله ضد الجزائر[3].

و بناء على هذه المعلومات الواردة من المخبرين كلف الداي حسين الشيوخ والمرابطين بالجهاد و حماية الشواطىء.

فكان التفوق الاستعلامي الفرنسي مستمدا من مصادر كثيرة، أولها كانت من التقارير الاستخباراتية التي أعدت بشكل مكثف، ويمكن عرض جزء منها، و المتمثلة في المشاريع الآتية:

مشروع القنصل دي كيرسي(De Kercy). الذي تضمن معلومات استخبارية هامة عن مدينة الجزائر، وهي المعلومات التي اعتمد عليها غيره من المخبرين

1- يراجع:

Douin (G.), **Mohamed Ali et l'expédition d'Alger (1829-1830)**, le Caire 1930, document. No.39

2- **مذكرات أحمد باي**، ترجمة الزبيري محمد العربي، ش.و.ن.ت. الجزائر 1973 ص.11

3- **مذكرات او لمحة تاريخية عن الجزائر**، ترجمة أبي العبد دودو، ش.و.ن.ت الجزائر **1974**، ص.63. (نقلا عن عميراوي احميده، **دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية 1827-1840**، دار البعث 1987، ص.89)

الفرنسيين الذين جاءوا بعده، و قدموا بدورهم معلومات استخبارية لاحتلال مدينة الجزائر، ووظفتها فرنسا أثناء حملتها عام 1830.

فهذا القنصل دي كيرسي قد سكن الجزائر من عام 1782 إلى عام 1891، و أعد دراسة وافية عن مدينة الجزائر، مست أغلب جوانب حياة الجزائريين. وخلص إلى قناعة فرضها على الحكومة الفرنسية و هي فمن الضروري بمكان الهجوم على هذه المدينة براً لا بحراً، و من سيدي فرج [1].

و كذلك مشروع فرنسوا فيليب لاماي(François Philipe Le Maye) الذي قدمه عام 1800، و كان مؤيدا لفكرة الهجوم البري على مدينة الجزائر العاصمة، و لكنه اقترح أن يكون الهجوم من منطقتين شرقا وغربا [2].

و كانت معلوماته دقيقة و هامة اعتمدتها الحكومة الفرنسية، و هي كذلك بحكم أنه كان أسيرا في الجزائر مدة 16 شهرا، حيث فرضت علية في الجزائر ممارسة الخياطة. وخلال هذه المدة رصدت الحياة اليومية لسكان الجزائر العاصمة و تجسس عليهم و عرف قدراتهم الدفاعية، و تين له ضعف المدينة عسكرية، فدعا فرنسا إلى احتلال هذه المدينة، لأن ذلك حسب رأيه لا يتطلب إلا قوة ما بين 30 إلى 40 ألف محارب لاحتلال المدينة في مدة لا تتعدى 48 ساعة. و هو ما حدث فعلا سنة 1830.

1- لمزيد من المعلومات يراجع: الغالي غربي و اخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات و الأبعاد**، منشورات المركز الوطني للدراسات و البحث في الحركة الوطنية و ثورة نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر 2007، ص-ص. 67-70.

2- هو فرنسوا فيليب دو لاماي ضابط محترف في الجيش الفرنسي، وقع في الأسر من عام 1799 إلى عام 1800.

و يبن للساسة الفرنسيين أن مدينة الجزائر تكون أحسن بلاد في العالم لو يتم احتلالها، و يدير شؤونها حكام قادرون [1].

و الشيء نفسه قدمه ديبوا تانفيل(Dubois Thainville) إلى نابليون بونابرت عام 1801 الذي كان يتوسع في مواطن كثيرة من العالم، و الذي كان يخطط لاحتلال مدينة الجزائر كموقع استراتيجي لمحاربة انجلترا التي فرض عليها سياسة الحصار القاري، لأنه غير قادر على مواجهتها بحرا.

و قدم كذلك بيار هيلان (Pierre Hulin) مشروعا هاما عام 1802، إذ انه اغتنم فرصة مرافقته للوفد الفرنسي الذي جاء للتفاوض مع داي الجزائر، و جمع معلومات هامة، إلى درجة أنه تمكن من رسم صورة الجزائر و عين عليها أهم المواقع الحساسة.

و قدم من جهته بيار ديفال (Pierre Duval) مشروعين الأول عام 1819 و الثاني عام 1827 الذي أخذت السلطة الفرنسية بمعلوماته و فرضت حصارا بحريا على الجزائر بداية من عام 1827.

وقدم كل من تيدنا(Thednat) عام 1795 و عام 1802 و بوتان (Yves Boutin) عام 1808 معلومات هامة لاحتلال الجزائر، و نظرا لأهمية معلوماتهما سنفرد لهما حديثا لاحقا.

جمعت هذه المعلومات كلها في مكتب قيادات الأركان، وانكب على درستها المختصون بداية من عام 1828، و أعدوا عدتهم لغزو الجزائر رسميا، حيث

1- لمزيد من الاطلاع يراجع:

Marcel Emerit, Alger en 1830, d'après les mémoires inédits de le May, in. R.H.M, n°2, Tunis 1974, p-p. 171-176

حددوا مكان النزول و هو سيدي فرج. و بتاريخ النزول كذلك و هو ما بين شهري ماي و جوان. أي أنهم طبقوا المعلومات الاستخبارية المتفق عليها.

بالإضافة إلى هذه المشاريع أخرى دعا أصحابها إلى ضرورة احتلال الجزائر، و قدمت كالأتي و في التواريخ الآتية [1]:

1. مشروع لبيني دوفليفيك في 10 جويليا 1827.
2. مشروع ون دونيس باربي في 30 أوت 1827.
3. مشروع تيوار دي بيتي 20 سبتمبر 1827.
4. مشروع المركيز دي كليمون تونير في 14 أكتوبر 1827.
5. مشروع شابرول في 22 أوت 1827.

و يمكن ذكر عناوين أهم المشاريع بلغاتها الأصلية كالأتي [2]:

- « Mémoire sur Alger », par de Kercy.
- « Précis des opérations en Afrique » Dubois – Thainville.
- « Mémoires adressé au ministre des relations extérieurs, en réponse a des questions sur les sources de la régence d'Alger dans le cas ou la France lui ferait la guerre, par jean bon Saint- Andre, Ancien Commissionnaire a Alger »
- « coup d'œil sur la Régence d'Alger, par le citoyen thédenat commissaire des relation commerciales a Savone. Savane ».
- « Observation sur la république d'Alger ».
- Reconnaissance générale des villes, forts et batteries d'Alger, des environs, etc..., faite en conséquence des ordres et instructions de son excellence monseigneur décrés, ministre de la marine, en date des 1er et 2eme mai pour servir au projet de descente et d'établissement définitif dans ce pays, par le chef de bataillon boutin ».
- « Mémoires sur les difficultés et les facilites d'une expédition par terre contre Alger 7 Août 1827, rédigé par Mr Duval, consul général de France à Alger »
-« Rapport de dupetit-Thouars à son excellence le ministre de la marine et des colonies, sur Alger.

1- (نقلا عن: الغالي و اخرون، ص.82)

2- (نقلا عن: الغالي و اخرون، ص.83)

و فيما يخص تيدنا و بوتان يمكن القول إن الأول كان على دراية بوضع الجزائر، إذ إنه عاش فيها أسيرا، و مسيرا لشؤون بايليك معسكر قرابة أربع سنوات، وقد ترك لنا مذاكرته التي لها قيمة تاريخية و استخباراتية كبيرة.

و تكاد تكون مذاكرته المصدر الوحيدة الذي تضمن معلومات عن حياة المنطقة الغربية من الجزائر في القرن الثامن عشر، إذ تضمنت معلومات عن حياة المجتمع الجزائري في الداخل بعيدا عن الساحل، على خلاف ما هي عادة تجار الوكالة الأفريقية و الرحالة الأوروبيين الذين دونوا معلومات عن المدن الساحلية فقط دون أن يدونوا معلومات مفصلة عن الداخل.

و كان تيدنا يدير أمور كثيرة، بما فيها عمليات التصدير، من الحبوب و الصوف و الشمع من مستغانم وهو الميناء المهم للبايلك لأن وهران كانت لا تزال في يد الأسبان . وذكر أنه في بعض السنوات كانت تصل الشحنات المصدرة إلى عشرة مراكب فرنسية و إنكليزية. و يقول لنا فانتور دي باردي[1] إنه في سنة 1787 شحن من تلك المنتجات ستة و عشرون مركبا من ميناء أرزيو مما يدل على تطور كبير ف الحياة الاقتصادية في بلد يتأسف فيها تيدنا على خراب سهولها الخصبة الشاسعة و المحرومة من ري المياه.

و يتبين من خلال هذه المذكرات أن ظاهرة القرصنة و شراء الأسرى لم تعد تشكل في فترة حكم محمد بن عثمان باشا داي الجزائر إلا ثروة ضئيلة لكن الدخل

1- Venture De Paradis, « Alger au 18ème siècle », présentation de Fagan (E.), in. R.A. année 1995

من الخيرات الزراعية المتطورة كان كبيرا[1] . ومن غير المستبعد أن تكون هذه المعلومات قد استفادت منها السلطة الفرنسية في توسعها بالداخل في معسكر و غيرها. إذ يفهم من مراسلات سانت ارنو أن الهجوم على معسكر كان في وقت الحصاد، حيث تحول ثمانية آلاف محارب من مهام الحرب الى مهام الحصاد الوفير في سهول غريس.

و في سنة 1802 قدم مشروعا للحكومة الفرنسية و ألح عليها ضرورة احتلال الجزائر كلها، لكنه اختلف عن غيره في تحديد المكان المناسب للإنزال العسكري، إذ إنه حدد المكان المناسب هو شاطئ التنس الخالي من أي دفاع.

و قد وظف طاليون مذكرات تيدنا كمعلومة مقنعة أثبتت للرأي الرسمي الفرنسي ، و الرأي العام الأوروبي، و حشية القرصنة، قائلا إن سلطة الداي و البايات الثلاثة قائمة على أقلية من العسكريين ذوي الامتيازات فهم ' قطاع طرق حقيقيون و مخربو البلاد'. و على أساسها دعا طالبران أوروبا إلى توجيه حملة عسكرية قوية تجعلها سيدة البلاد، وأن ذلك لا يكف الحكومة الفرنسية شيئان بل على العكس أن الاستلاء على مدينة الجزائر سيعوض كل المصاريف لأن ثروة الداي كبيرة.

أما فيما يخص بوتان، فالحديث عنه هام، لأنه مخبر رسمي، هو ضابط الهندسة العسكرية، وقد لعب دورا رئيسا في وضع مخطط الهجوم على مدينة الجزائر. هذه المهمة تطرق إليها الكاتب و المؤرخ " ليون بيرجو في كتابه" بوتان

1- لمزيد من المعلومات يراجع: **عميراوي احميدة، الجزائر في ادبيات الرحلة و الاسر**، دار الهدى، عين مليلة 2003، ص-ص. 132-136

عون سري لنابوليون سنة " 1808 "[1] . حيث دامت زيارة بوتان في الجزائر من 14 ماي إلى 17 جويلية 1808، أي أنه بقي بها 52 يوما، كرسها للدراسة الطبوغرافية و الجغرافية و التعرف على القوة العسكرية لإيالة الجزائر. وساعده في ذلك تعرفه على الأسر اليهودية و بالأخص على أسرة ابن زاحوت التي أعانته على استكشاف الجزائر أرضا و ثقافة، بالإضافة إلى قنصل فرنسا بالجزائر و هو ديبوا تانفيل (Dubois Tgainville) الذي زوده بمعلومات حصل عليها من مذكرات و مراسلات قناصل سابقين من بينهم (Jean Bon Saint André).

جمع بوتان خلال هذه الفترة كل ما كانت له صلة بحملة عسكرية، و بكل جرأة و ذكاء و صرامة.

و قد تمكن بوتان من جمع المعلومات، مثلما تمكن من و الإفلات من الرقابة بمساعدة ممن كانوا يساعدونه في الجزائر العاصمة، حدث ذلك رغم أن الأتراك لديهم تعليمات صارمة بمنع كل أجنبي من التنزه إلا في محيط محدد، ومنعهم من الدخول إلى العديد من الأماكن الجزائرية. إلا أن بوتان كان يتنزه في المدينة و في الريف. وكان قد وصل إلى سيدي فرج و تجاوز في كثير من الأحيان الأقاليم المحدد و المسموح بها للأوروبيين. كان يتظاهر بصيد السمك على طول الساحل مستعملا كومة من الرصاص بالصنارة لقياس عمق البحر، الخليج. و يتظاهر أحيانا بالصيد في الجبل، و كان في كل ذلك يتوقف عند نقاط عدة، خاصة المرتفعات لرسم المخططات تضاريس المكان، منها نقاط الماء، و الانكسارات الأرضية من جانبها الطوبوغرافي. كان يأخذ كل تلك المعلومات في المساء عند دخوله إلى القنصلية

1- LEON BERJAUD, **Boutin agent de Napoléon I^er^ et précurseur de l'Algérie Française.**

ليقضي ليلته في الكتابة و تدوين الملاحظات. و من غير المستبعد أن يكون له مساعدون يجمعون له المعلومات لاستكمال الغرض.

و كان يستعين بمصدر تاريخي هام للرحالة الدكتور شو (Shaw) الذي مضى عليه أكثر من سبعين (70) سنة الذي يعتبر آنذاك المصدر الأكثر دقة في جمع المعلومات حول إفريقيا الشمالية، كما كان يرجع أيضا الى المعلومات التي نقلها القنصل دي كيرسي الانجليزي.

بالإضافة إلى المعلومات التي تركها ممثلو فرنسا بالجزائر، و التي كانت حول العلاقات التجارية و السياسية الداخلية للإيالة.

كان بوتان يعرف كيف يموه تحركاته و تحرياته، و يخفي أعماله التي يتوصل إليها بصفة دقيقة، و منها أخذ معلومات حول القوة العسكرية لجيش الداي التي حددها بـــ 8000 رجل. وقد ركز على سوء العلاقات بين الجزائر و تونس، لأنه في تلك الفترة جهز داي الجزائر 8000 رجل للهجوم على تونس.

خلال تواجد بوتان بالجزائر كان يحدث شغب في البلاد، من ذلك أنه اغتيل باي قسنطينة على باي في 17 جوان بمسجد قسنطينة و الانكشاري أغا و اثنين أو ثلاثة من المرؤوسين من الجيش الانكشاري . هذه الظروف السياسية بالمنطقة شغلت الداي و الأتراك في عدم مراقبة نشاط الأجانب الأوروبيين كما يجب، و منهم بوتان.

إذاً، جاء مشروع بوتان كاستطلاع عام للمدن الحصون و بطاريات الجزائر و ما جاورها. الذي تم تبعا لأوامر وزير الحربية بتاريخ 1 و 2 ماي للاستعمال بقصد الاحتلال و الاستقرار النهائي في هذا البلد. و يمكن تخليص تقرير بوتان كعسكري خبير في الهندسة العسكرية و الاستطلاع فيما يلي:

* قدم دراسة مستفيضة حول عملية الإنزال و المقاومة المتوقع حدوثها . و هذا للإجابة على أسئلة افتراضية مثل كيف يكون الإنزال بنجاح؟ و كيف يتم تجاوز المقاومة بنجاح؟

* حدد بوتان مكان الإنزال على جزء من الساحل، و في النقطة بين رأس كاكسين و سيدي فرج. وأكد على تجنب الهجمة البحرية، لأن مصيرها الفشل مثلما حدث لحملة اللورد إكسماوث البحرية برغم قوتها و تنظيمها الجيد.

* حدد بوتان سير الحملة كالأتي: على أن يكون الإنزال في سيدي فرج أولا، و إقامة مركز القيادة ثانيا، و احتلال قصر الداي ثالثا، و احتلال مدينة الجزائر رابعا، مع القيام بمناورات بحرية في عرض البحر خامسا. و مع ضرورة احتلال قمم الهضاب و المرتفعات.

* ألح أن يكون المكان المفضل لقوة المركز هو مكان المحصور بين قصر الإمبراطور و سفارة كل من السويد و إسبانيا و هولندا.

* قدم بوتان أوصافا عن تحصينات مدينة الجزائر، ووضع تصميما لذلك مبينا فيه نوع السلاح، مع تشخيصه حسب عيار كل مدفع، ومدي الرمي حتى تكون هذه التحصينات أهدافا للهجمات الفرنسية. ووصف بوتان بتفاصيل و دقة الطريق الذي أشار إليه بين سيدي فرج و الجزائر، مبرزا بعض الصعوبات التي قد يتلقاها سلاح المدفعية الفرنسية، نظرا لانعدام طرق المواصلات التي هي عبارة عن مسالك و دروب وعرة.

*لم يغفل بوتان في تقريره أن يذكر قوات جيش الداي التي تكون في ظروف السلم 15000 رجل و في وقت الحرب تصل إلي 60000 رجل.

* ألح بوتان على الوقت اللازم للهجوم لأن، في نظره أن تعداد قوات الداي ليس له أهمية، خاصة وانه في حالة حرب مع تونس، و هذا ما يشغل باي قسنطينة الذي يعد تعداد جيشه أكثر أهمية من تعداد جيش باي وهران و التيطري.

و يضيف بوتان في هذا الشأن أن الذخيرة الحربية لقوات الداي لا تصنع في الجزائر. كما أن جيش الداي لا يملك مدفعية متحركة، ماعدا المدفعية الثابتة القليلة الأهمية، و التي يشرف عليها عبيد أوروبيون.

و قدر بوتان في تقريره قوة الحملة التي يجب تعبئتها ما بين 35000 إلى 40000 رجل. مشيرا إلى أنه بعد احتلال الجزائر يجب وضع قوة لا تقل عن 10000 رجل لحراستها.

*لم يكتف بوتان بالدعوى إلى احتلال مدينة الجزائر فقط، بل دعا إلى الاستيلاء على مدينة قسنطينة، و التيطري ووهران، مركزا في ذلك على قوات المشاة و المدفعية و الفرسان و سلاح الهندسة. و قدر مجريات ذلك بعامل الزمن الذي لا يكون في ظرف شهر، يكون الجيش الفرنسي بعدها سيدا على مدينة الجزائر و ضواحيها.

و ألح على ضرورة توحيد القيادة ، كما قدم نصائح للتعامل مع الأهالي برفق لإرضائهم، من أ جل تسهيل طريق للتوسع في المناطق الداخلية. وحث بوتان على احترام المساجد و الحرمات و الحدائق و السكنات الريفية. هذا بالنسبة لمدن الجزائر و قسنطينة و التيطري، أما بالنسبة للسياسة التي يجب أن تتبع في الداخل البلاد أي الجنوب يجب أن تكون سياسة إقناع أكثر منها سياسة إرغام بالسلاح. لم ينس

1-LEON BERJAUD, **Boutin agent de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française.** p-p.110-112

بوتان في تقريره جانب التموين لقوات الحملة من جيش و خيول، وقدر ذلك باحتياط كاف لمدة شهرين على الأقل.

و ينهي بوتان بتقرير مفصل عن الموارد المهمة التي يجب أن ترافق الحملة من معدات و تعداد و تسليح واضعا لذلك 15 خريطة و تصميما تكون أطلسا للجزائر و ضواحيها. و سلم هذا التقرير لوزير الحربية الفرنسي.

و يمكن إجمال أهم القضايا التي تطرق إليها بوتان فيما يلي:

1. و صف مدينة الجزائر و ضواحيها، و أبراجها، و تحصيناتها.
2. الإمكانيات العسكرية لحكومة الداي.
3. المدن و الموانئ الجزائرية و أهميتها : عنابة، القالة، القل، جيجل، بجاية، دلس، مدينة الجزائر، شرشال، رأس تنس، أرزيو، وهران، مرسى الكبير، مستغانم.
4. المعطيات المناخية و الطبيعية.
5. المعطيات الاجتماعية: السكان، اللغة، الأمراض و الأوبئة.
6. المعطيات الاقتصادية: التجارة الداخلية و الخارجية، الصناعة و المواد الأولية، الزراعة و المحاصيل الزراعية. النقود و المقاييس.
7. المعطيات الطبوغرافية: التضاريس الطبيعية، الطرق، المسافات، المياه، النهار.
8. الخطة العسكرية للهجوم: مكان و توقيت الإنزال البحري، الجيش الضروري للحملة [1].

1- لمزيد من المعلومات يراجع: الغالي غربي، المرجع السابق. ص.76

و قد درس مجلس الوزراء في 11 أكتوبر 1827 هذا التقرير الذي كان وثيقة هامة ضمنت النجاح.

و لما تولى وزير الحرب (Le vicomte de Caux) و هو صديق قديم لبوتان أعاد إحياء المشروع و شكل له لجنة برئاسة لوفردو(Leoverdo) حيث تمت دراسته الفورية للمسائل المتعلقة بالحملة ضد الجزائر، و اقترح مخططا نهائيا للعمليات و تعيين وسائل التنفيذ الأكثر قابلية لضمان النجاح، هذه اللجنة بدأت مباشرة أشغالها، واطلعت على ما كتبه الرحالة و الأسرى، من مذكرات و تقارير عن الحمالات السابقة ضد الجزائر من 1926 إلى 1808 و صبتها كلها في استنتاجات بوتان في 07 ماي 1829، الكونت بورتاليس(Portalis) وزير الشؤون الخارجية يصرح أن " ملك فرنسا لا يريد اللجوء إلى القوة إلا إذا استنفذت وسائل الصلح." و كان ملك فرنسا يراهن على المفاوضات الجارية بينه و بين كل من السلطان العثماني وداي الجزائر، التي تولى القيام بها (La Bretonniere) في 30 جويلية 1829.

و بعدها قرر مجلس الوزراء يوم 19 ديسمبر 1829 تنفيذ الحملة في ربيع 1830 و تم إتباع مخطط بوتان. و كتب القائد العام في جدول أعماله، أن " 20 يوما كانت كافية لهدم وجود هذه الدولة التي أتبعت أوروبا منذ ثلاثة قرون [1]".

إن الفرنسيين لم يكتشفوا الجزائر حين دخولها في جويلية 1830 فقط، بل كتبوا عنها قبل ذلك في عدة مناسبات، و كانت بينها و بينهم معاهدات و تبادل أسرى و جواسيس و تقارير القناصل ورحلات، ولكن معظمها كانت علاقات من جانب واحد ، فالفرنسيون هم الذين كانوا يكتبون. أما الجزائريون الأتراك كادوا لا

1- LEON BERJAUD, **Boutin agent de Napoléon I^er^ et. Op.Cit. p-p.98-157**

يتركون أثرا لأسراهم ولا لرحلاتهم، و ليس لهم قناصل في فرنسا. كانت فرنسا تحمل كبتا عميقا عن إيالة الجزائر التي استغرقت من القوة ثلاثة قرون، وهي سيدة البحر، لكن السهولة كانت في نجاح حملتهم و سقوط حكومة الداي دون حرب تقريبا و جنوح حاكمها إلى الاستسلام، و طلب السلامة له و لحاشيته، و تسليم البلاد و الخزينة التي كانت بها أكثر من 50 مليون دولار آنذاك دون تفكير في مصير البلد و الأهالي[1].

و السؤال الجدير بالإجابة هو هل هناك أهداف و أبعاد أخرى غير احتلال مدينة الجزائر من إيفاد بوتان إلى الجزائر سنة 1830؟

من خلال تتبع نشاط بوتان تتأكد حقيقة و هي أن، نابليون كان له مشروعا كبيرا، وأن الجزائر تمثل حلقة منه. إذ أن بوتان سبق له أن قام بمهمة سرية إلى اسطمبول عام 1807 و كذلك إلى تونس. ثم على مصر و سوريا وقتل في الصحراء مصر عام 1813.

يؤكد لنا هذا النشاط الاستخباري الذي كان بونابرت يستخدمه إنما كان لضرورة كبيرة، لأن ناليون كان يهدف إلى تكوين أمبراطورية تستحوذ على معظم المناطق في القارات، وهذا لمنافسة بريطانيا كذلك.

ولضمان نجاح الحملة الفرنسية على الجزائر لم تكتف فرنسا بجمع المعلومات و التقارير حول الجزائر من المخبرين الرسميين، و إعداد ما يمكن إعداده من أفراد و عتاد بل كونت لجنة سرية تتكون من رانبرت، دوبنيوز و جيراردان و أرسلتهم إلى

1- أبو القاسم سعد الله، **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج.6، دار الغرب الاسلامي، بيروت1998، ص 270.

تونس خلال شهر أبريل 1830 في مهمة سرية لجس النبض و معرفة موقف باي تونس من الحملة على الجزائر، و لفتح مصدر خصب لتموين جيش فرنسا و التأثير على معنويات الأهالي من عرب و غيرهم، و الحث عن الانفصال عن داي الجزائر.

من المعلوم أن أعضاء هذه اللجنة كانوا على معرفة جيدة بالبلد تونس.

و تمكن هؤلاء المخبرون الثلاثة من كسب باي تونس و الحصول على دعم مادي و معنوي ، مثلما تمكنوا من إرسال مناشير إلى الجزائريين حرضوهم على قبول الجيش الفرنسي الآتي بالحضارة و العدالة. و كتبوا تقريرا تضمن ثلاثة محاور أساسية إلى السلطة الفرنسية، هي :

* حول التأثير الديني
* حول ضمان التموين للجيش الفرنسي من باي تونس
* حول الإستراتيجية الواجب اتخاذها و هي إعطاء معلومات حول قصر الداي [1].

التقت اللجنة من جهة أخرى بالطبيب الانجليزي الذي أقام بالجزائر أربع سنوات، ثم انتقل للعمل في تونس، هذا الأخير زود القنصل العام دوليسبس، بنصائح من شانها إنجاح الحملة إن أعطيت له مقابل ذلك امتيازات سيعمل معهم في إطار الحملة على الجزائر، و قد اقترح الاستعانة بشيخ ليدلهم على كنوز مخفية حتى تسلم من نيران المدفعية، و يدلهم على مكان الأسرى الفرنسيين ملفتا انتباههم إلى أن الداي توعد بإحداث مجزرة عند اقتراب الفرنسيين من حرمة، من جهة أخرى يعلم التقرير الثاني أن كنوز الداي ستظل في أماكنها نظرا لاستحالة نقلها

1- لمزيد من التفاصيل حول هذا الموضوع يستحسن مراجعة كل من:

- CHARLES FERAUD, **LES INTERPRETES DE L'ARMEE D'AFRIQUE,** ALGER 1878, p-p.161-162
- Nettement (A.), **Histoire de la conquête.** P.250

و دفنها تحت الأرض خوفا من عمليات النهب التي قد تقع، هذه اللجنة أنهيت مهامها بالاتفاق مع داي تونس و رجعت في نهاية أبريل إلى فرنسا حاملة رسالة من القنصل العام الفرنسي دوليسبس إلى وزير الحرب، و التي جاء فيها بأن باي تونس على استعداد تام للتعاون بتقديم المساعدة، ملفتا انتباه وزير الحرب حول سفرية رحلة باي قسنطينة الحاج احمد باي إلى الجزائر و التي ستكون من 20 إلى 25 ماي و المعروفة بالدنوش الكبير التي تتم كل ثلاث سنوات و في هذه الفترة تكون قوات الحملة علي مشارف الجزائر[1]. و هذه معلومة هامة بالنسبة إلى السلطة الفرنسية لأخذ الاحتياط اللازم.

هذا عن التقارير الرسمية أو شبه الرسمية استخبرت منها السلطة الفرنسية. إلا أن مصادر أخرى تمكنت بها السلطة الفرنسية، و كذلك المخبرون الرسميون من جمع معلومات هامة عن مدن الجزائر، و هي من كتب الرحالة و المستشرقين.

فأدب الرحلة يعد مصدرا هاما في رسم صورة الجزائر. لهذا كان عدد كبير من الرحالة زاروا الجزائر، و من جنسيات مختلفة، إذ كانوا فرنسيين، و ألمان، وروس، و أمريكان، و ايطاليين. و نذكر منهم كلا من هايدو (ق.15-16)، نيكولاي(ق.16)، تاسكانا(ق.17)، بايسونال (ق.18)، شو(ق.18) خيمينيث (ق.18)، فانتير دي بارادى(ق.18)، تاسي(ق.18)، شامبر(ق.18)، تيدنا (ق.18)، ديفونشين(ق.18)، شلوصر(ق.19)، بفايفر(ق.18). و غيرهم.

1- Nettement (A.), **Histoire de la conquête. p-p**.261-269

و يلاحظ أن المعلومات التي قدمها الرحالة الألمان وظفها بكاملها رجال الحملة الفرنسية.

إذ كان اهتمام المستشرقين بالجزائر سابقا عن تاريخ الحملة الفرنسية لها ، بحكم أن بعضهم كانوا مستشارين للبلاط الملكي الفرنسي، ويمكن اعتبار كتابات الرحالة التي تناولت موضوع الجزائر مثل كتابات بيسونال (Peyssonnel) و الدكتور شو (Docteur Shaw) مادة خصبة استفادت منها فرنسا.

لأن هؤلاء المستشرقين هم الذين عرفوا الجزائر للأوروبيين، و ساعدهم الأمر في ذلك تمكنهم من دقائق اللغة العربية و مكونات الثقافة الإسلامية. و لهذا كانت للمستشرقين علاقة مباشرة بالتبشير و الاستعمار الاستيطاني، فالاستشراق درس عقلية العامة، و التبشير سلك طرق التعليم و ممارسة الأعمال الخيرية.

و كان للمشارقة دور ملموس في الاستشراق، و بالتالي في التوسع الفرنسي في البلاد العربية و خاصة في الجزائر.إذ كان الموارنة خير معين في عملية الاحتلال الفرنسي للجزائر.

و يمكن أن يؤرخ لدور المستشرقين الملموس في دفع الممارسة الاستعمارية في البلاد العربية بعهد الحملة الفرنسية على مصر، لأنهم هم الذين تولوا الترجمة أثناء هذه الحملة، و الإشراف على الطباعة . و كان منهم ومن أبنائهم من تولى الترجمة في جيش الاحتلال الفرنسي في الجزائر، لان كثيرا من مرافقي الحملة على الجزائر كانوا مشارقة.

بجانب يهود الجزائر الذين كانوا يقومون عادة بترجمة ما كان يدور بين حكام الجزائر و الأجانب قبل عام 1830[1] .

و من بين الذين لعبوا دورا بارزا في عملية استعمار الجزائر و التخطيط له سيلفستر دي ساسي (1838 – 1757) عميد المستشرقين في باريس، و مدير مدرسة اللغات الشرقية عام 1824 و من غير المستبعد أن يكون هو الذي أوحى بفكرة و هي أن يتوجه وفد إلى تونس و يوزع منشورا باللغة العربية الجزائرية على الجزائريين يساهم في التمهيد لحملة عسكرية لكسب تأييد لها من الجزائريين، و بالفعل كانت النتائج بمثل التوقعات تقريبا، حيث أرسل وفد مثلما سبقت الإشارة إليه من المخبرين إلى تونس يتكون من رامبار (Raimbert) و جيراردا(Girardin) في أفريل عام 1830 برئاسة دوبينوسك (D'Aubignosc) هذا الأخير غين فيما بعد محافظ الشرطة في الجزائر العاصمة . حيث عرف هذا الوفد حاكم تونس . بمشروع الحملة و فاز بتأييده لها، و بالفعل تمكن هذا الوفد من الحصول على مساعدات تونسية في سرية تامة.

و كان زكار و هو من الشام و دنينوس إبراهيم و حنا فرعون من مصر، فالحملة الفرنسية على الجزائر رافقها رجال الثقافة و الإعلام و الاستعلام الذين وضعوا خبرتهم و طاقتهم في خدمة التوسع. و قد ساهم هؤلاء في جمع المعلومات بالترجمة، و بممارسة الصحافة. بجانب جيوش المرتزقة و الصبايحية و زواوة، و من أعلن ولاءه لفرنسا أمثال الجنرال يوسف المملوك، و غيره كثيرون.

1- لمزيد من المعلومات عن فعل المترجمين يراجع:

- CHARLES FERAUD, **LES INTERPRETES DE L'ARMEE D'AFRIQUE, OP.CIT.**

إذا، كانت مصادر المعلومة من المخبرين الرسميين، ومن العاملين بالقنصلية، و من الرحالة و المستشرقين، و من عناصر أخرى، قدموا كلهم معلومات دقيقة استخدمها مختصون و استفادوا منها، و تمكنوا من احتلال مدينة الجزائر بسهولة عام 1830، و احتلال مدن أخرى مثلما سأذكر هذا في حينه.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفصل الثاني

دور المعلومة الاستخبارية في احتلال المدن الجزائرية 1830-1844

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

سأتحدث باختصار في هذا الفصل عن فترة احتلال بعض المدن [1] الجزائرية من عام 1830 الى عام 1844 . وعن كيفية توظيف تلك المعلومة الاستخبارية قبل الهجوم على هذه المدن الساحلية ، و المدن الداخلية ؟ و عن الاطراف التي زودت السلطة الفرنسية بالمعلومات ؟ وهذا من خلال النقاط الاتية :

1- مختصر عن الاطراف و المشاريع ،

2- دور المعلومة في سقوط المدن ،

2-1 - دور المعلومة في سقوط مدينة عنابة ،

2-2- دور المعلومة في سقوط مدينة بجاية ،

2-3- دور المعلومة في سقوط مدينة قسنطينة،

3-4- دور المعلومة في سقوط مدينة سطورة (سكيكدة)

3-5- دور المعلومة في سقوط عاصمة الامير عبد القادر،

3-6 - دور المعلومة في سقوط مدينة بسكرة.

1- مختصر عن الاطراف و المشاريع :

فبمجرد أن تم احتلال مدينة الجزائر تبين ان اكثر من طرف يريد الاحتفاظ بالجزائر كلها، بهدف تطبيق مشروعه، و من هذه الاطراف ، بل المشاريع نذكر :

- المشروع الملكي الفرنسي الذي كان يسعى الى احتلال جزئي .
- المشروع الكاثوليكي الهادف الى استرجاع مجد المسيحية في الجزائر .
- المشروع الليبرالي الهادف الى تحويل الجزائر الى سوق المال و الاعمال .

1- ان المدن التي ركزت بحثي حولها هي : عنابة ، بجاية ، قسنطينة ، سكيكدة ، عاصمة الامير عبد القادر و بسكرة .من دون ان أتطرق الى بقية المدن الأخرى ، لان وهران مثلا استسلم حاكمها قبل ان يصل اليها جيش الاحتلال .

- المشروع الماسوني الرامي الى تأسيس المحافل في كامـــل أنحـــاء الجزائـــر ، و ربطها بهذه الظاهرة العقدية المنتشرة في العالم .

وكانت هذه الأطراف تجمع المعلومات و تتوسع على حساب الجزائريين . وقد حدثت اتصالات كثيرة بين أصحاب هذه المشاريع و فئات السكان الجزائريين . من ذلك ان السلطة الفرنسية حاولت التقرب من السكان عبر انحاء الوطن ن مستخدمة وسائل متعددة فرضتها بقوة الترغيب و الترهيب ، فمن وسائل الترغيب عقد أكثر من معاهدة و اتفاق مع أكثر من جهة جزائرية ، و كان للاستعلامات دورا كبيرا فيها .

إن اطرافا كثيرة زودت رجال الاحتلال بمعلومات دقيقة، منهم دوبينيوزك الذي عينه القائد العام محافظ الشرطة في الجزائر العاصمة . وهو مخبر رسمي ، اذ انه سبق له ان كان رئيس الوفد الذي ذهب إلى تونس و تمكن من الحصول على مساعدات هامة لصالح الحملة الفرنسية (مثلما سبق الحديث عنه في الفصل الأول) . وكذلك ليون روش ، وابن دران ، و أطراف أخرى محلية خاصة .

2- دور المعلومة في سقوط المدن :

2-1 - دور المعلومة في سقوط مدينة عنابة :

كانت مدينة عنابة من المدن الاستراتيجية بالشرق الجزائري ، و التي حظيت بعناية فرنسا. لدرجة انها كانت الهدف الثاني بعد مدينة الجزائر العاصمة ، لهذا وجه ضدها دي بورمون حملة عسكرية بقيادة دامريمون (Damrémont) ، لكنه انسحب منها يوم 25 سبتمبر 1830 ، بفعل موانـــع كثيرة ، منها ظروف الملكيـــة

الفرنسية المهددة من الباريسيين. و انشغال التوسع الفرنسي في الجزائر الوسط ، و مقاومة اغلب سكان عنابة بمؤازرة قوات الحاج احمد باي [1] .

لكن السلطة الفرنسية اصرت على احتلالها ، لهذا أعادت الكرة مرة ثانية بالهجوم عليها يوم 13 سبتمبر 1831 و احتلالها بقيادة هودر (Huder).

كان سقوط المدينة بسهولة لاعتبارات كثيرة ، من بينها وصول معلومات استخبارية تفيد بان عدد ا من سكان المدينة استنجدوا بالفرنسيين نكاية بابن عيسى قائد جيش احمد باي ، الذي أساء كثيرا الى سكان المنطقة [2] ، و ايضا لبسالة الجيش الفلرنسي الذي جاء مزودا بعتاد كاف ، و بمعلومات استخبارية هامة ، استفاد منها بشكل قوي ، مثلما استفاد من تجاربه الاولى ، و خاصة من هزيمته الأولى في هذه المدينة . و ايضا لإصرار القادة الفرنسيين ، و من ورائهم أصحاب المشاريع المذكورة سابقا بضرورة احتلال كل مدن الساحل [3]

و من المعلومات الاستخبارية المفيدة لرجال الاحتلال ، و التي أثرت على ميزان القوة لصالح الفرنسيين وصول معلومات بعث بهـــا دي ليسيبس (DE LESSEPS)

1- اقول اغلب السكان لان بعضهم كان ضد جيش احمد باي ، ينظر تفاصيل ذلك في :

- A.O.M. série E , Liasse 172 (cité par Temimi (A) , Le Beylik de Constantine et haj Ahmed Bey ,Tunis 1978 , p.10)

2- ذكر التميمي Temimi (A) ، المرجع نفسه ، ص .105 (نقلا عن : A.O.M. série E , Liasse 172) ان عددا من اعيان عنابة مثل العالم الشيخ سيدي زعمون ، و القاضي حسين بن محمود ، و الطيب بن مراد ، و الحاج بن حسين ، قد اتصلوا عام 1831 بالقائد العام بيرقزين و طلبوا تزويدهم بالسلاح و التموين لفك الحصار عليهم من قبل قوات الحاج احمد باي . بالامكان مراجعة A.O.M.H 10

3- يراجع :

Démontes(V) , « la mission du commandant Huder à Tunis » , in Bulltin de géographie historique et descriptive , (?), 1905,p.330 .

القنصل الفرنسي من تونس، يخبر فيها القائد العام انه تلقى مراسلة من أعيان عنابة، و من حسين باي تونس يلحون على فرنسا ان تتدخل، و تقدم المساعدة حتى لا تقع عنابة بيد الحاج احمد باي قسنطينة [1] لان ذلك سيكون خطرا على مصالح فرنسا ، و ضرر على صيادي المرجان بالدرجة الاولى [2] .

وبناء على هذه المعطيات امر وزير الحربية القائد العام بيرهزين (BERYHEZANE) يوم 4 أوت 1831 بالهجوم على مدينة عنابة حتى لا تسقط في يد باي قسنطينة[3].

و من خلال المادة التي بين أيدينا يتبين لإبراهيم باي دورا كبيرا في حصول فرنسا على معلومات استخبارية ساعتها على احتلال مدينة عنابة . و سبب ميل إبراهيم باي الى فرنسا هو انه كان يتولى الحكم على قطاع الشرق الجزائري خلال السنوات ما بين 1822 و 1824. و بعد الاطاحة به تحالف مع فرحات بن سعيد شيخ الصحراء ، و مع مزراق باي التيطري ضد الحاج احمد باي للاستيلاء على ثروته . و حرض سكان المنطقة كذلك ضد الحاج احمد باي ، و دفعهم لطلب النجدة من

---

1 - رسالة موجهة من اعيان عنابة ، ينظر : A.N.T . Dossier 384

2 - مراسلة دي ليسبس في تاريخ 5 جويلية 1831 ينظر :

A.O.M. série 1 E , Liasse 162

3- Temimi (A) , Le Beylik. Op .cit,p.105

Ageron (Ch) , Le gouvernement du général Berthezène à Alger en 1830

الفرنسيين . لكن الحاج احمد باي هزمه ناحية سطيف ، و كذلك في الصحراء اواخر 1830 ، فلجأ إبراهيم باي الى تونس و منها عاد الى عنابة [1].

و مما جاء في مراسلة إبراهيم باشا إلى باي تونس ما يلي :

"حضرة المعظم ... فالمطلوب من كريم اخلاقك و معدن جودك و إكرامك أن ترخى علينا ضلل أنعامك و إحسانك و تجعلنا من خاصة خدامك و اولادك ... لأنني محسوبا عليك .. و الذي يكون في شريف علمك ان الواقعة التي وقعة بيننا و بين الفرانصيص بل بيني و بين أهل البلد البوادي (يقصد مناصرين الحاج احمد باي). حين أراد الطلوع للقصبة و الاستيلاء على البلد و خزائن البارود كما هو في علمك اصطلحنا فيما وقع و سامحنا فيما حدد من الجانبين و تكاتبنا على العافية و الصلح و يضع قنصل من قبل جنرال الجزائر في بلد عنابة ... و لم تبق بيننا و بينه تابعة . و من غير المستبعد ان يكون ميل إبراهيم باي إلى فرنسا مكسبا هاما لفرنسا ، و بالتالي يعد مصدرا قويا للحصول على المعلومة من دون عناء. ويعود نفوذه هذا إلى ما كان يحظى به من أتباع في مناطق كثيرة ، خاصة في وطن الحنانشة . إذ سبق أن راسله اهل تبسة يستنجدون به من ظلم بعض الأعراش ، من ذلك جاء في مراسلة اليه " حفظ الله تعالى ذات المعظم سيدنا و مولانا السيد إبراهيم باي ...فترانا في اشد الحصار و الأبواب مغلقة و أحاط بنا الهول من كل جانب ... فإن عزمتم الينا"

---

1 – تصالح إبراهيم باي مع الفرنسيين في مدينة عنابة ، و سمح باعتماد قنصل فرنسي بها ، و كاتب حسين باشا حاكم تونس في هذا الغرض .يراجع :A.N.T . Dos 384 Carton 223 و ينظر ملحق رقم 1

وجعلت أمرا يليق ببلدكم فتنجدونا .... هذا الفعل جرا علينا حين رجـــع الشيخ الزين إلى تونس (و شيخ من الحنانشة كان ضد احمد بـــاي قـــسنطينة) ... حاصلة العزم ثم العزم الى البلد .. السلام من خدامكم أهـــل تبـــسة قـــادة مصطفى التركي و احمد الحفاف و جميع أهـــل البلد تركـــا و عربـــا وآغـــة الديوان السعيد و الشيخ القاضي لطف الله بحال الجميع ... النبي الكريم [1]."

وطبق دو روفيكو (De Rovigo) السياسة نفسها الهادفة إلى الاحتلال السريع ، لأنه كان متأكدا أن البقاء الفرنسي قويا في الجزائر لا يمكن أن يكون إلا بالسيطرة على مدينة عنابة ، و على مدينة قسنطينة و على الشرق الجزائري كله [2]. لهذا راسل دو روفيكو سكان عنابة ، و دعاهم الى الدفاع عن مصالحهم التي هي مرتبطة بمصالح فرنسا [3]، و في الوقت نفسه طلب من إبراهيم باي تقوية صفه في عنابة ، و الحضور الى الجزائر العاصمة لدراسة الوضع [4].

و في هذه الظروف ظهر عامل آخر لا يقل أهمية عن عامل ميل إبراهيم باي ، بل يفوقه ؛ ويتمثل في قدوم يوسف المملوك شخصيا الى الصف الفرنسي عارضا خدماته على سلطة الاحتلال ، فأمدها بخبرته ، و بمعلومـــات استخبارية هامة ، فما

1- رسالة من حكام تبسة الى إبراهيم باي من دون تاريخ

A.N.T . Dos 384 Carton 223

2- لمعرفة التفاصيل عن سياسة هذا القائد يراجع :

Esquer (G), Correspondance de Due de Rovigo (1831-1834) , t.2, Alger 1920,P.223.

3- المراسلة في تاريخ 25 جانفي 1832 ينظر :

Esquer (G), Corresp de Due de Rovigo , t.1, Alger , 1914 ,P.126

4- ينظر :

Temimi (A) , Le Beylik. P.110

كان من دو روفيكو إلا أن يجهز حملة عسكرية في مارس 1832 بقيادة كل من ارمندي (Armondy) ويوسف المملوك[1]، تمكنت من احتلال مدينة عنابة بسرعة . وتدعم جيش الاحتلال في هذه المدينة بقوة 3000 محارب فرنسي جاءت خصيصا من طولون إلى عنابة بقيادة مونك ديزير (Monc Duzer) .

و منذ هذا التاريخ صارت ليوسف المملوك مكانة مرموقة في وسط السكان ، على رقعة ممتدة من عنابة الى الصحراء ، وكان يحصل على اية معلومة و بسرعة و بالمجان ن بحكم تظاهره باسلامه ن و بما له من نفوذ من قبل السلطة الفرنسية و حاكم تونس ن إذ اتصل به اكثر من طرف و حولهم لصالح الفرنسيين ، من ذلك [2].

وبوصول هذا القائد مونك ديزير و توليه الإدارة العامة ، اتخذ من مدينة عنابة مركزا إداريا لتوسيع عمليات التوسع في الشرق الجزائري ،وشكل مجلسا إداريا تكون من وكيل عام ومحافظ شرطة و قاضي و كاتب ضبط [3] . بعدها قام بإرسال مخبرين الى جهات كثيرة جنوب عنابة ، و جمع معلومات هامة ، وبعث بها الى القائد العام . وجاء فيها بما يمكن تلخيصه ، " ارفع اليكم هذا التقرير حول الرحلة الاستطلاعية التي كلفت بها فريقا للاستطلاع ناحية قبيلة بني يعقوب ، المتوطنة على سهل واسع جدا ، على بعد ست محطات (قد يكون على مسافة 60 كلم)

1- لتعرف على حياته يراجع :

- Maurice (C.W), La vie du général Yusuf , 4è édi .Gallimard,Paris 1930.
- Cornulier (L.) , La prise de bone et Bougie , d'après des documents inédits, berger,Paris 1898

2 - تراجع مراسلة فرحات بن سعيد الى يوسف المملوك ملحق رقم 2.

3- يراجع :

Moniteur algérien , n° 12 , du 24 avril 1832 .

من عنابة تجاه قسنطينة . كان شيخ هذه القبيلة الذي عينه احمد باي هو يعقوب الذي فر قبل وصول جيشنا ، لان هذا الجيش كان يتكون من قوتين الاولى بقيادة يوسف المملوك على راس 200 محاربا ن من العرب و الاتراك . و الثانية تحت بقيادتي من بـــ 2000 محارب[1] .

و المؤكد أن وجود يوسف المملوك في الصف الفرنسي عجل بالتوسع و هزيمة الحاج احمد باي ، من ذلك جاءه تايد عدد من سكان المنطقة . وراسله فرحات بن سعيد من الصحراء ، وكذلك ابن عبد السلام المقراني شيخ مجانة ، ودعمه الحسناوي من الحنانشة على راس 200 فارسا . كل هؤلاء حرضوا السلطة الفرنسية على احتلال قسنطينة . وهي مواقف ناتجة عن سياسة الحاج احمد باي المضطهدة لهم .

و من سياسة يوسف المملوك انه أسس مخيما عسكريا في الدرعان ليس بعيدا عن عنابة، سمي مخيم كلوزال ضم 2000 محارب من الجزائريين و الأتراك العثمانيين .

1- من التقارير التي رفعها مونك ديزير الى القائد العام كانت في تاريخ 2 جويلية 1832 ينظر التقريرن ، الاول عام 1832 ، الثاني عام 1834 و هما

A.M.G.H 15 .

A.M.G H226 . Renseignement sur les tribus qui entourent Bone

و الشيء الملفت للانتباه هو دقة المعلومات الاستخبارية التي قدمها هذا القائد في هذين التقريرين عن القبائل المتوطنة ما بين عنابة و قالمة ، و عن ارزاقها و قواها الحربية ، اذ كتب قائلا ان اهم القبائل / الاعراش هي بنو يعقوب ، وبنو شيبانية و بنو صالح ، وبنو طلحة ن واولاد مسعود ، وبنو مزلين ، و بنوولاسة ، و النبايل ، وبنو فوغال ، وغيرها .وان قوة هذه الاعراش الحربية 2570 فارس . و نحن نعلم جيد ان معرفة عدد قوة الطرف المعادي قبل المعارك يعني تحقيق نصف الانتصار مسبقا ن و من هنا تتبين قيمة المعلومة في الاستخبارات الحربية .

و اتبع كلوزال السياسة نفسها يدفعه حماسه الشديد الى احتلال مدينة قسنطينة .وعين العقيد ديفارجي (DUVERGER)حاكما على على عنابة مكان مونك ديزير في مارس 1836 . سمح ليوسف المملوك ان يكـــون جيشا بقوة 1000 محارب ، وان يوسع علاقاته بشيوخ المنطقة استعداد للهجوم على قسنطينة [1].

ولتحقيق هذا الهدف تاسس مركز مراقبة بضواحي قالمة تحت حراسة 300 فارس . ودخل ديفرجي الى قالمة يوم 24 جوان 1836 على راس قوة 2300 محارب

1- للمزيد من المعلومات يراجع :

Temim (A) , Le Beylik .P.173

2-2 دور المعلومة في سقوط مدينة بجاية :

احتلت بجاية مكانة هامة في ادبيات الفكر و التاريخ الفرنسي ، إذ انها كانت محل هجومات بحرية كثيرة ، وكان للمخبر دوبينيوسك الذي تعين محافظ شرطة في الجزائر العاصمة دور موجه للسياسة الفرنسية و لموقفها من مدينة بجاية ن اذ انه فور احتلال مدينة الجزائر فطن رجال السلطة الفرنسية الى قضايا كثيرة ، وكان له ذلك بحكم انه مخبر رسمي ، وعلى دراية بامور البلاد خاصة بعد ان قام بمهمو استخبراتية الى تونس قبيل توجيه الحملة الفرنسية عام 1830 ، كان له دور كبير في توجيه السياسة الفرنسية في الجزائر .و نذكر من تلك القضايا التي نبه اليها هي اهمية القوة العسكرية المحلية الجزائرية ، خاصة قوة زواوة ، اذ اقترح دي بورمون استغلال هذه العناصر المحاربة ، وقد عمل دي بورمون بهذا الراي ، وسمح يوم 23 أوت 1830 لديفيفيي (DUVIVIER) [1] ان يجمع 500 محاربا من زواوة، و يشكل بهم فرقة محاربة في الصف الفرنسي . ودعمه خليفته كلوزال القائد العام كلوزال بتنظيم هذه الفرقة . وابتداء من فاتح اكتوبر 1831 اخذ هذا النوع من الجيش اسما رسميا هو جيش الزواوة (ZOUAVES) .و منذ هذا التاريخ صار الزواف وسيلة هامة في التوسع العسكري ، وحتى في جمع المعلومات بحكم انهم كانوا على دراية بامور السكان اكثر من دراية الفرنسيين انفسهم . وبحكم قربهم من سكان المنطقة كانوا احسن عون في التوسع العسكري .

1- France , Guerre (Ministère de la) , Collection des actes du gouvernement, Impimerie royale, Paris ;1843.p.17

وقد تمكن هؤلاء الزواف من احتلال مدن كثيرة ؛ بجانب نوع اخر من الجيوش ، مثل قناصة افريقيا (Les chasseur d'afrique) الذي لعب دورا هاما هو الأخر في التوسع العسكري ، إذ انه هو الذي عبر من قسنطينة الى الجزائر عام 1839 عبر مسلك صعب هو البيبان .

وكان لجيش المرتزقة الاجانب (La légion étrangère) دورا مكملا بعد ان أسسه لويس فيليب يوم 10 مارس 1831 جنسيات متعددة ، واستقر فيلق منه في عنابة . وكذلك جيش الصبايحية الذي تأسس من الفرسان العرب عام 1841 ومن جنسيات مختلفة ، وتمركز فيلق منه في عنابة كذلك . وبذلك تضاعف عدد المحاربين بالشكل الاتي :

ففي عم 1830 بلغ عدد المحاربين 37000 رجل ، انخفض عام 1831 الى 9000 محارب. ليرتفع عام 1840 الى 70000 محارب . ةيصل عام 1844 الى 90000 محارب [1]

هذا بالإضافة إلى رغبة كثير من المحاربين المتقاعدين في دول أخرى حاولت أن تتطوع في عملية الاحتلال و التوسع في الجزائر .

وكان من بين هؤلاء الكولونال بونلي (BONELLI) الذي راسل السلطة الفرنسية يوم 25 ديسمبر 1836 قائلا ان عددا من الجبليين الكورسكيين قادريـــن

1- تقرير ماكمهون في يوم 1858/12/3 . ينظر : A.MG.H238 (نقلا عن : عميراوي احميدة ، السياسة الفرنسية و المقاومة الوطنية (1830-1858) في الشرق الجزائري ، اطروحة دكتوراه دولة ، جامعة قسنطينة 1999).

على حرب العصابات التي يقوم بها الأفارقة أعداؤنا [1] . و في 24 ديسمبر 1839 بعث الى السلطات الفرنسية بنفس الطلب يلح فيه على تأسيس جيش خاص و عدده 1580 من الكورسيكيين لمحاربة الجزائريين[2] . و إني اذكر هذه العينات من أنواع الجيوش لابين قوة الإصرار الفرنسي على التوسع و الطرق الاستخبارية في احتلال مدينة بجاية وغيرها .

إذا ، بهذا التنوع من الجيوش ، و بالحصول على المعلومة بدقة و بسهولة ، تمكن قادة الاحتلال من احتلال مدن كثيرة . و السؤال الذي يمكن طرحه هو كيف تمكن القائد العام من احتلال مدينة بجاية ؟

تؤكد مراجع فرنسية كثيرة أن السلطة الفرنسية وجهت حملتين ضد مدينة بجاية ،كانت الاولى فاشلة في اوت 1830 ، بفعل المقاومة الشديدة ، ونقص في المعلومات الاستخبارية . والثانية ناجحة في سبتمبر 1833، إذ تمكن الجيش الفرنسي على اثرها من احتلالها رغم المقاومة الشديدة .

فبحسب ما أورده فيرو (CH.FERAUD) إن شخصا من سكان بجاية و اسمه مراد اتصل بالقائد العام الفرنسي في الجزائر العاصمة في شهر اوت 1830 وطالب باحتلال بجاية ولكن السكان قتلوه و تصدوا للقوة الفرنسية المرافقة له.وتقدم شخص آخر واسمه بوستة وعرض خدماته على السلطة الفرنسية . و من غير المستبعد ان يكون بوستة هذا قد زود الفرنسيين بمعلومات هـــامة فجمعها النقيب لامورسيار

1- ارفق بونلي طلبه بتقرير مفصل بين فيه كيفية التنظيم لهذا الجيش من المتطوعين الجبليين الكورسيكين ينظر : A.MG.H237

2- المصدر نفسه ، ملحق رقم 3 . (نقلا عن عميراوي احميدة ، السياسة الفرنسية .اطروحة ، المرجع نفسه)

(LAMORICIERE)مع غيرها،فتأكد له انه بإمكان حملة عسكرية مكونة بالف محارب ان تحتل المدينة . و بالفعل وجهت حملة في سبتمبر 1833 من الجزائر العاصمة مدعمة بقوة بحرية انطلقت من طولون بقيادة تريزل (TRIZIL) تمكنت من احتلال المدينة . واذهب الى قناعة وهي ان للمعلومات الاستخبارية التي جاءت الى السلطة الفرنسية دورا رئيسيا في سقوط المدينة بيد الفرنسيين ، الأمر الذي سهل على السلطة الفرنسية ان تؤسس ادارة قوية تولى تسييرها قادة فرنسيون ومنهم ديفيفي (DUVIVIER) ، الذي تولى ادارة المدينة خلفا لسابقه .

وبداية من يوم 5 اكتوبر 1835 شرع في تهيئة المدينة عمرانيا لتستقبل 3000 ساكن ، منهم 1300 اوروبي [1] . وتفطنت السلطة الفرنسية ايضا بدهاء الى بجاعة التقرب من شيوخ المنطقة، و في مقدمتهم الشيخ سعد من عرش اولاد رابح [2] وقد تم التقارب بينهما و بينه بتوقيع معاهدة في عام 1835 .

و اغلامر الملفت في السياسة الفرنسية ان السلطة الفرنسية كانت تجمع دائما المعلومات حول موضوع معين ، مثلا تمكنت من جمع معلومات دقيقة عن قوة السكان، و عن مكانة الشيوخ،و منهم الشيخ سعد وليد و رابح الذين قالوا بانه قائد على راس 300 فارسا [3]. ثم عينوا مواطن السكان و اعداد عشائرهم و بلداتهم التي

1- Féraud (Ch.) , Histoire des villes de la province de Constantine, (Bougie) ,Anolet, Constantine 1868, p.37 .

2- وتاسست قيادة ادارية فيها برئاسة لوازيي (loisier) ثم خلفه دفيفي . للمزيد من المعلومات يظر :

-Féraud (Ch.),Histoire des villes de la province de Constantine,(Bougie) ,p-p236-255
- Gaid Mouloud , Histoire de Bejaia et de sa région , s.n.e.d.Alger, 1976.

3- A.MG.H226

بلغت في مدينة بجاية وضواحيها حوالي 455 بلدة تسكنها 27 قبيلة بمجموع 22.500 نسمة [1]. وذهب بهم الامر الى معرفة تفاصيل دقيقة حول طبيعة المدينة من نواحي كثيرة ونتيجة لهذه المعلومات تمكنت فرنسا من التوسع في مناطق كثيرة ، و في تطبيق اساليب حكيمة جنبتها خسائر كثيرة ، و اكسبتها فوائد عديدة ، و استفدت انا بما تركته من مصادر مكنتني من عرض جزء من هذا الموضوع . من ذلك ان تلك المصادر تتحدث عن عدد المنازل العامرة في المدينة قبيل الاحتلال البالغة 200 منزلا [2] ، فيكون حسب تقديري عدد سكانها يزيد على 2000 نسمة ، باعتبار المعدل 10 افراد في كل منزل ، ان لم يكن اقل . وبها 25 مؤسسة دينية . وكان للقاضي و المفتي على المذهب المالكي المرجع الاول في ادارة شؤون المدينة تحت وصاية بايلك قسنطينة [3] . كل هذه المعلومات وثقت بصفة دقيقة و على اساسها تعاملت السلطة الفرنسية في سير الأحداث.

تفطن ديفيفي (DUVIVIER) الى مكانة الشيخ سعد اوليد رابح الذي عينه يحي آغا [4] بداية من عام 1823 قائدا على منطقة بجاية مكافأة له على مناصرته له [5].

1- المصدر نفسه . ينظر ملحق 4

2- للمزيد من المعلومات يراجع :

- Recueil des notices et mémoires : province de Constantine, vol .31 Constantine,1869.p-p 98-118

3- كانت المدينة عامرة وذات قيمة اقتصادية و اجتماعية .للمزيد من المعلومات يراجع :

Féraud (Ch.), « Note sur Bougie » , in R.A anné1858-59,p-p.296-308.

4- كان يحي آغا قائد جيوش الداي فعزل و تولى مكانه إبراهيم ىغا الذي كان احد الاسباب القوية في سقوط الجزائر العاصمة .

5- كانت اتصالات بين الفرنسيين و الجزائريين كثيرة عن طريق الرسائل خلال هذه الفترة و هي محفوظة في :

A.O.M. 1 H 223

فأدرك قيمته و مكانته و تقرب اليه، و تمكن من توقيع معاهدة معه عام 1835 وكانت معظم بنودها لصالح الفرنسيين [1] .

وبرغم هذه المعاهدة إلا ان الشيخ سعد اتصل بالحاج احمد باي و أكد ولاءه له [2] ، الأمر الذي قد يفهم من هذا ان تلك المعاهدة كانت وسيلة دهاء حربي . وبالفعل فقد اعلن الشيخ الجهاد بداية من نوفمبر 1835 . و استمرت المقاومة بعد وفاته بقيادة اخيه امزيان ، الذي تمكن من قتل قائد المدينة سالامون (SALAMON) وبعض من أعوانه ، وإهداء خيولهم إلى الحاج احمد باي الذي أهدى اليه من جهته البرنوس الأحمر طالبا منه الحضور الى مدينة قسنطينة [3].

في هذا الوقت كان نفوذ الامير عبد القادر يمتد في هذه المنطقة جنوب بجاية [4]. و لا ادري هل حدث اتصال بين سعد ولد رابح و الامير عبد القادر ام لا ؟ و ان كان هذا ليس موضوعي .

1- يراجع عميراوي احميدة " التواجد الفرنسي في بجاية " ، الثقافة ، العدد 100 ، مجلة تصدرها وزارة الثقافة ، الجزائر 1988 ، ص ــ ص . 73-81 .

2- يتوفر ملف هام في : A.O.M. 1 H 223 موضوعه مراسلات بين سعد ولد رابح و الحاج احمد باي . وهنا الحاج احمد باي الشيخ على إخلاصه وطلب منه الحضور شخصيا او إرسال ابنه الى قسنطينة .يراجع كذلك :

3-Gaid Mouloud (G) , op.cit

4- كانللامير نفوذ على بعض المناطق مثل بني رائن المعادية للفرنسيين ينظر :

Gavoy (Medecin) , Notice sur tizi –ouzou , victor , alger 1878

مما سبق يتبين ان احتلال مدينة بجاية لم يكن سهلا ، و ان للمعلومة و الإصرار الفرنسي دورا هاما في سقوط هذه المدينة التي صارت تشكل خطا ساحليا تسيطر عليه فرنسا ، و لم يبقى لها من المدن شرق العاصمة سوى سطورة و القل على الساحل ، وقسنطينة و غيرها في الداخل ، و هو الذي حاولت السلطة الفرنسية تحقيقه فيما بعد .

2-3 – دور المعلومة في سقوط مدينة قسنطينة :

مما سبق يتبين ان السلطة الفرنسية تمكنت من احتلال أهم المدن الساحلية ، وهي وهران، و الجزائر العاصمة وبجاية وعنابة ، وبقيت سكيكدة ، لكن السلطة الفرنسية ركزت ايضا على الداخل بدءا بمدينة قسنطينة ذات المناعة . وقد تبين لرجال الاحتلال ان استيلاء عن هذه المدينة يعني الاستيلاء على اهم المناطق بالشرق الجزائري ، مثلما تبين لهم كذلك أن الاستيلاء على مدينة معسكر يعني الاستيلاء على أهم المناطق الاخرى . لكن الصعوبة كانت أمامهم هي وجود كل من الحاج احمد باي و الأمير عبد القادر . لهذا حاولوا التقرب منهما بوسائل متعددة يمكن حصرها في – أولا جمع معلومات استخبارتية حول كل ما يتصل بهما ؛ عسكريا ، اجتماعيا ، واداريا – وثانيا في فتح باب التفاوض معهما – وثالثا في مواجهتهما عسكريا .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وفيما يتعلق بالحاج احمد باي، فان ما يميز تعامل الفرنسيين معه هو محاربته في عنابة ، و في مجاز عمار و في قسنطينة و في الاوراس ، اذ جرت بينهما معارك كثيرة[1]. ولكن رجال السلطة الفرنسية تعاملوا معه بوسيلة اخرى هي التفاوض ، لان المخبرين تفطنوا الى أهمية الأمر فحاولوا عقد معاهدات معه [2] في اكثر من مرة باقتراحها أكثر من مشروع تفاهم ن خاصة في عام 1832 و عام 1837 .

إذ بعد أن تمكنت الحملة الفرنسية من تحقيق هدفها باحتلال الجزائر العاصمة اتصل دي بورمون بالحاج احمد باي وطلب منه الخضوع لفرنسا ؛ لكنه رفض ، ثم اتصل به كل من كلوزال و دو روفيكو و عرضا عليه الطلب نفسه لكنه رفض . وكان هدف السلطة الفرنسية التقرب الى بايليك الشرق بناء على معلومات دقيقة تفيد بقوة بايليك الشرق حربا

1- من تلك المعارك كانت معركة سيدي فرج عام 1830 ، و معركة رجاتة في نوفمبر 1834 ضد يوسف المملوك ، و معركة العشاري بواد الاحد ضد الفرنسيين ، و معركة قسنطينة الاولى عام 1836 و الثانية 1837 ، ومعركة صحيرا بالجنوب ضد فرحات اواخر عام 1837 ، و معركة بالحراكتة عام 1838 ضد الفرنسيين ، ومناوشة ضد الفرنسيين عام 1840 ، و مواجهة بالخضنة عام 1841 ضد الفرنسيين ، و معركة عام 1844 بالاوراس .

2- يبدو ان فرنسا استمدت تجربتها من معاهداتها مع الجزائر منذ القدم ، إذ انه من المتعارف عليه ان معاهدات كثيرة تمت بين الجزائر و فرنسا منذ القرن السادس عشر ، الى درجة انه يمكن الحديث عن ست و ستين معاهدة . مما يدل على انه كانت للجزائر هيبة دولية الى غاية عام 1830 . لمزيد من المعلومات يراجع : ابو القاسم سعد الله ، **محضرات في تاريخ الجزائر الحديث** ، ط.3، ش.و.ن.ت.، الجزائر 1982 ، بداية من صفحة 13 . و كذلك لمزيد من المعلومات عن هذه الهيبة يراجع : مولود قاسم نايت بالقاسم ، **شخصية الجزائر الدولية و هيبتها العالمية قبل عام 1830** ، ج .2، ط. 1 د. البعث ، قسنطينة – الجزائر 1985

وثراء لهذا ن كانت وفادة حمدان بن عثمان خوجة من الجزائر العاصمة الى قسنطينة مرتين ، محملا بمسودة مشروع من القائد العام دو روفيكو[1] .

و المحاولة نفسها قام بها الكونت فالي عام 1837 الذي فتح باب التفاوض مع الحاج احمد باي ، إذ ذكر الحاج احمد باي في مذكراته أن القائد الفرنسي ارسل له قائلا : تعالوا اطلبوا الامان و استسلموا سريا سنبعثكم الى فرنسا [2] وفي الوقت نفسه عرض عليه مشروع معاهدة تضمن اربعة عشرة مادة كان محتواها التوقف عن الحرب و الاعتراف المتبادل . بمجال نفوذ لكل منها .

لكن الحاج احمد باي رفض هذه الشروط ، فلجا القئد الفرنسي الى استخدام وسيلة اخرى كان لها فعل مؤثر في قوة الحاج احمد باي ، وهي إثارة النعرات القديمة بين الجزائريين ، بتحريض عدد من الاعراش ضده ، إذ أن الاستعلامات بينت أن أعداء الحاج احمد باي كثيرون ، ويمكن تجنيدهم في الظرف المناسب ، و بالفعل كان الأمر مع فرحات بن سعيد العدو القديم للحاج احمد باي الذي مال الى قوة الفرنسيين نكاية و انتقاما منه ، و هو ما تم فعلا .

1- لمزيد من المعلومات يراجع كل من :

-عمراوي احميدة ، دور حمدان خوجة في تطور القضية الجزائرية (1827-1840) ، دار البعث ، قسنطينة ، 1987 .

- علي افندي ، وصف رحلة من الجزائر الى قسنطينة عام 1832 ، ترجمة عمراوي احميدة ، المكتبة الجامعية ، غريان ليبيا 2003 .

2- مذكرات الحاج احمد باي ، ترجمة العربي الزبيري ، ش.و.ن.ت.الجزائر 1973 ، ص.79 .

وكان مخبرون واسطة في جمع المعلومات ، و في التفاوض و في اثارة النعرات ، واذكر اهمهم اليهودي بوجناح الذي لعب دور كبيرا خاصة في المفاوضات بين السلطات الفرنسية و الاج احمد باي .

و تمكنت فرنسا من جمع معلومات دقيقة عن مدينة قسنطينة و عن قوة الحاج احمد باي و عن المناصرين له ، و الثائرين عليه في داخل المدينة و خارجها فجهزت حملتها الاولى عام 1836 ، ولكنها فشلت ، ثم اعادت الكرة مرة ثانية فنجحت .

ويعود سبب هذا النجاح الى عوامل كثيرة ، ومن اهما جمع المعلومات الكافية عن وضع الحاج احمد باي ، ومدينة قسنطينة [1].

1- كتبت تقارير كثيرة تبين مدى اهمية الدراسات و الاستطلاعات التي كانت حول وضع بايليك الشرق ، بعامة وحول وضع الحاج احمد باي و مدينة قسنطينة بخاصة . ينظر ملحق رقم 5 .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-4- دور المعلومة في سقوط سطورة (سكيكدة):

بعدما تمكن السلطة الفرنسية من احتلال مدينة قسنطينة ، وتاسيس نظام إداري بها [1] جددت اهتمامها باحتلال ما تبقى من مدن الساحل ، وكانت مدينة سكيكدة [2] من المناطق الهامة لدى رجال السياسة الفرنسيين منذ الأيام الأولى من دخولهم الجزائر العاصمة . وترجم هذا الاهتمام القائد العام فوارول (Voirol ماي 1833 – جويلية 1834) الذي ذكر وزير الحربية يوم 7 جوان 1833 بأهمية سطورة في الماضي و بآفاقها في المستقبل، حيث اكدت الاستطلاعات مثلما أنها المدينة التي تحيط بها ثروة غابية تشكل مساحة 60 % من المساحة الممتدة الى عنابة ، فهي ستكون دعما للاقتصاد الفرنسي .

و بمجيء الحاكم العام دامريمون تاكد من اهمية هذه المعلومات ، فبعث الى وزير الحربية مراسلة يوم 12 ماي 1837 [3] الح فيها على ضرورة احتلالها و تشكيل ادارة بحرية بها . ويتبن من البحث الذي قدمه صولال (Solal) ان منطقة سكيكدة كانت محل اهتمام فرنسا قبل احتلالها الجزائر العاصمة . ولهذا لا يستغرب من تكليف وزير البحرية لضباطه من وضع دراسة طوبغرافية عن السواحل .

1- تاسس هذا النظام بسرعة واشركت فيه عناصر جزائرية من الاسر و من الاعراش

2- عرفت مدينة سكيكدة اسماء كثيرة فهي روسيكادا ، اسطورة ، وفور ديفرنس ، وفليب

3- وتاكد بعد الاحتلال الفرنسي لمدينة سكيكدة اهمية المدينة في استكمال بقية المناطق و خاصة منطقة القل للمزيد من المعلومات يراجع :

Solal (A) , Philippeville et sa region (1837-1870),Alger(!),p-p36-37

وقد جاءت هذه المغلومات نتيجة تكليف لبعثات استكشافية رسمية في المنطقة قام بها عام 1835 ثلاث جزائرين دامت ستة ايام تعرفوا خلالها على المنطقة الممتدة من عنابة الى سطورة [1].

وتضاعف الاهتمام بسكيكدة بعد احتلال قسنطينة مباشرة ، اذ دعت الضرورة الى احتلال سطورة لربط الداخل بالبحر ، و لإخضاع الاعراش الثائرة و الشروع في جلب الاخشاب التي كانت قسنطينة في حاجة اليها .

و لتحقيق ذلك امر برنار (Bernard) وزير الحربية الفرنسي يوم 10 ديسمبر 1837 ضباط جيشه ، وبخاصة حاكم قسنطينة بدراسة الامكانات لاحتلال الشرق الجزائري كله . و الشروع في اقامة إدارة بحرية عسكرية بسطورة ، اسوة بما كان يعمل به الرومان.

و كان المهندسون ، وبخاصة منهم اصحاب المشروع السان سيمون يلحون على ربط المدن بتعبيد طرق المواضلات ، ولهذا وضعت دراسة فورية لتعبيد ثلاثة طرقات ؛ منهم الطريق الرابط بين قسنطينة و سطورة .

و تجاوب فالي (Valée) الحاكم بقسنطينة مع مقترحات الوزير يوم 4 جانفي 1838 و اكد له اهمية المدينة ، وبخاصة ميناء سطورة . و اقترح سياسة القوة لفرض هذا الامر نظرا لما له من معلومات تفيد رفض السكان للوجود الفرنسي [2] .

- ينظر ملحق 6

A.MG.H226
Solal (A) , Philippeville ,p-p 40-41

ومن دون تردد قام ضباط الهندسة العسكرية بدراسة طوبوغرافية ، وسلموا تقريات دقيقا عن المناطق الهامة ، و عن المسافات بين القرىو المدن ، و عن ثروة المياه و عن طرق المواصلات في مثلث رؤوسه سطورة وقسنطينة و عنابة .

ونتيجة لهذه المعلومات تكونت قناعة لدى رجال السلطة الفرنسية ، وهي ان مدينة سكيكدة اكثر اهمية من عنابة بالنسبة الى قسنطينة ، وعليه فمن الضرورة بمكان ربط قسنطينة بسطورة اولا بدلا من عنابة لتكون المنفذ الذي يمكن منه احتلال الشرق الجزائري كله ، ومن دون ذلك يعني التوقف عن التوسع العسكري [1] .

فكانت هذه المعلومات الاستخبارية ، و الدراسة الطوبوغرافية ، وميل بعض الاعراش الى السلطة الفرنسية ، و وجود اراض مخزنية ؛ كانت كلها عاملا مساعدا على غزو المدينة .

فوجه قادة الاحتلال حملات عسكرية انطلقت من قسنطينة الى سطورة بقيادة نيقري (Négrier) . و تمكنت من احتلال قرى فلاحية كثيرة ، بداية من منطقة الحروش يوم 7 افريل 1838 و وصلت الى سطورة يوم 9 افريل . و بوصولها تمكنت الحملة من تحقيق مكاسب كثيرة منها : جس نبض السكان ، وتشجيع بعض الشيوخ الجزائريين لانضمام الى الصف الفرنسي . بجانب تعميق الدراسة الطوبوغرافية قصد تحديد الثروة الغابية . ولكن المهم في هذه الحملة هي الدعوة الى تعبيد الطريق الرابط بين سطورة قسنطينة مرورا بالكنتور .

1- تقري قائد الاركان في تاريخ 31 جانفي 1838 ، A.MG.H226

وفي يوم 8 اكتوبر 1838 [1] تمكنت حملة فرنسية من احتلال مدينة سطورة نهائيا ، و الشروع في تهيئتها عمرانيا و تجاريا ، إذ بعد احتلالها استقبلت المدينة 12 عائلة أوروبية [2].

وساعد رجال الاحتلال على فرض سيطرتهم على المدينة و احوازها ، ومن ثمة على بقية المناطق عامل ميل بعض شيوخ المنطقة الى الصف الفرنسي ن و اشراكهم ادارة البلاد ، ومن هؤلاء كان ابن عيسى و القايد السعودي بن اينال و غيرهما[3]. وكلهم تحت اوامر القيادة العسكرية .

مما لا شك فيه ان هؤلاء الشيوخ كانو خير عون للسلطة الفرنسية ، وتدعم مركزهم بوجود نواة لمكتب الشؤون العربية ن الذي قام بدور هام في جمع المعلومة ن و بالتالي في توجيه السياسة الفرنسي ، و كان هذا المكتب يديره ضابط و نائب و كاتبان فرنسي و جزائري و الشواش و شيوخ القبائل منهم الشيخ بوروبي و القائد السعودي .

لمزيد من المعلومات يراجع كل من :

- Bernard (L),Histoire de Philippeville 1838-1903 Philippeville 1903
- Ledrmann (E), Philippeville et ses environs, Philippeville1935.

ومن بين الاستعلامات ، بل من المصادر الهامة التي تتحدث عن اهمية المدينة وصف سانت ارنو لها يوم 11 ماي 1839 على انها الجميلة ، وعدد سكانها 1500 ، لمزيد من المعلومات يراجع:

St Arnaud, les premier années de l'Algérie française .robert Laffont, tours 1978,p-p 69-70 .

2- يراجع : Solal (E). ص 163، 165 ، 173 .

3- نظرا لمكانة ابن عيسى و درايته بالمنطقة عينته السلطة الفرنسية بمعية من ابناء جلدته في ادارة البلاد ، و بالتالي لحكم البلاد بابناء البلاد . و من غير المستبعد ان يكون هؤلاء قد امدوا السلطة الفرنسية بمعلومات هامة افادت رحال التقوسع الفرنسي .

وبمساعدة هذا المكتب قسمت دائرة فيليب فيل إلى قيادات : الأولى قيادة المدينة و الثانية بني مهنة (السعودي) . وقيادة بشمال قسنطينة (بوروبي) .

و لتثبيت هذه السياسة الفرنسية القائمة على أجهزة الإدارية كان التفكير جاد في تأسيس المدن الفلاحية . وكانت الحروش من المناطق الهامة التي اهتمت بها السياسة الفرنسية و شرعت في إنشاء مدينة فيها يوم 22 مارس 1844

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

2-5 – دور المعلومة في سقوط عاصمة الامير عبد القادر :

أسس الأمير عبد القادر عاصمتين ، الأولى في مدينة معسكر ، و الثانية في مدينة متقنة هي أزمالة . كيف ذلك ؟ و كيف سقطت هاتان المدينتان في يد رجال لاحتلال ؟

ففيما يتعلق بمدينة معسكر فهي كانت المركز القوي في الغرب الجزائري ، بل كانت تضاهي مدينة وهران و تلمسان إن لم تكن تفوقهما ، لهذا ركز رجال الاحتلال اهتمامهم على أخذها من الأمير عبد القادر .

من خلال مذكرات تيدنا[1] يتبين أن بايليك معسكر كان ثريا ، و ان باي معسكر استطاع أن يشكل قوة حربية تمكنت من السيطرة على القبائل ، وحتى على مدينة وهران . و بخاصة سهل غريس الذي جلب اهتمام قادة الاحتلال الفرنسي خاصة بعد استيلائهم على مدينة تاقدامت [2].

1- ينظر : عميراوي احميدة ، **الجزائر في ادبيات الرحلة و الاسر** ، المرجع السابق .

2- وصف سانت آرنو مدينة تاقدامت بقوله : تاقدامت ذات حصانة ، بها اكثر من 600 منزلا ، يتوسطها منزل واسع مربع الشكل مخصص لاقامة الامير عبد القادر . و بالمدينة دكاكين وسجن و معمل لسك النقود و مصنع كبير على النهر و ورشات معدة لكل انواع المصنوعات . و اثناء دخولنا المدينة وصلنا دار القاضي و امام بابه وجدنا كلبا وقطا ميتين و بينهما ورقة مكتوب عليها : هذا ما نتركه لكم فالقط لابن ملككم و الكلب للحاكم العام الفرنسي . (نقلا عن عميراوي احميدة ، **بحوث تاريخية** ، ط .2 ، دار الهدى ، عين مليلة 2005 ص – ص.144 -145)

وبناء على ما تركه سانت آرنو [1] من مادة خبرية كشاهد عيان يكون غزو مدينة معسكر انطلق من تاقدامت ، ففي رسالة له بعث بها إلى أخيه يوم 25 ماي 1841 قائلا : بعد ان تمكنا من احتلال قسنطينة و تاقدامت وبعد ايام سنتمكن من احتلال معسكر .

و الشيء المهم في هذه المراسلة ان معلومات استخبارية استفاد منها رجال الاحتلال و هم في تاقدامت ، إذ قال سانت آرنو في هذه المراسلة : " إن شيخا تركيا كان مسجونا عند الامير تمكن من إلحاق بنا ، وأكد لنا أن عدد الباقين من الأسرى عند الأمير هم ثمانية فرنسيين و أربعة من الجنود المرتزقة و واحد من جيش زواوة " [2].

من أقوى الاحتمالات أن هذا الأسير التركي قد زود رجال الاحتلال بمعلومات كثيرة افادت الحملة على مدينة معسكر .

وكيفما كان الحال فقد تمكن الفرنسيون من الدخول نهائيا إلى مدينة معسكر يوم 31 ماي 1841 بقوة 6000 محارب . أقول الدخول نهائيا لأنه سبق لكلوزال أن حاول احتلالها عام 1835ولم يفلح ن المهم أعجب سانت آرنو بهذه المدينة فقال : إن احتلال معسكر اكثر اهمية من احتلال تاقدامت ، انها مدينة جميلـــة

1- مذكرات سانت آرنو ذات قيمة تاريخية هامة ن تناولت الفترة من عام 1837 الى نهاية 1847 . وهي عبارة عن مراسلات دون فيها الاحداث في حينها وبعث بها من الجزائر الى اقربائه في فرنسا ، وقد جمعت هذه عام 1978 ونشرت في سلسة (l'Algérie heureuse) في كتاب تحت عنوان : (السنوات الاولى من الجزائر الفرنسية). (Les premières années de l'Algérie française) ، الناشر هو :

Robert Laffont , Tours 1978,302 pages.

2- St Arnead, les premières années . p-p 109- 112

زادها مسجدها جمالا ن فهي مدينة تشبه شرشال وعنابة و مستغانم ، بل هي اكبر ، و أكثر استرتيجية ن ستكون مركزا للتوسع العسكري ، إنها ستكون قسنطينة الغرب [1].

بسقوط هذه المدينة تكون السلطة الفرنسية قد سيطرت على الغرب الجزائري ؛ أي على منطقة شكل مرؤوسه معسكر و وهران و مستغانم ، مثلما فعلت في الشرق حين سيطرت على منطقة في شكل مثلث رؤوسه قسنطينة و عنابة و بجاية .

و قد تفطن رجال الاحتلال الى اهمية المحصول الفلاحي الذي كانت تحظى به مزارع معسكر خاصة سهل غريس غذ قال : فبعد احتلال المدينة بثمانية ايام ، و تاكد لنا انشغال الامير بمحاربة القبائل توجهنا الى المزارع وحصدنا القمح و عدنا به الى مدينة معسكر . و كم هي الصورة جميلة حين حل المنجل محل البندقية إذ عن كل الجنود قاموا بهذا العمل .. فمن المضحك ان ترى ثمانية آلاف من المحاربين يحصدون في سهل واسع . والقمح على علو ما بين اربعة و نصف قدم و خمسة اقدام [2].

هكذا سقطت مدينة معسكر . ولكن الأمير أسس أيضا مدينة متنقلة هي المعروفة بزمالة . و السؤال كيف كان مصيرها ؟

1- St Arnead, les premières années de l'Algérie Française . p-p . 112 -114
2- St Arnead, les premières p-p . 115 -118

تناول كثيرا من الباحثين حادثة الزمالة ، وهي عاصمة الأمير عبد القادر المدينة المتنقلة التي أسسها بصفة نهائية عام 1842 و التي سقطت يوم 16 ماي عام 1843 . و تؤكد مراجع كثيرة ان سبب سقوطها هو اكتشاف مواطن تواجدها ، و تبليغ ذلك من مخبرين ن وقد أكد المزاري هذا بقوله " **ان عبدا .. هرب وقبض فاخبر و هو بتيارت و ان خلقا كثيرا من الحشم هربوا وذهبوا للكرايش بنهر واصل . و لما سمع الجنرال ذلك ركب بمحلته و مخزنه فورا وسار إلى أن لحق بهم بالخميس على مسافة أربعين كيلومتر من ... وغنم منهم ابلا وغنما وزاد ا كثيرا ونزل بمحلته في ذلك اليوم بعين التريد ...**"[1].

ثم أن بعض المخبرين ابلغوا السلطة الفرنسية بمكان تواجد الزمالة ، وقد ذكر اسم عمر العيادي الذي تقفى ترحال الزمالة ، و لما استقرت في مكان يسمى كوجيلة أسرع وبلغ ابن الملك الفرنسي الذي كان بالقرب منها ن فما كان منه الا انقض عليها فسقطت [2].

وقد وظف الفرنسيون هذه الحادثة لتأثير على السكان ن ودست مخبرين ليقوموا بهذا التأثير ونذكر من المخبرين النبيري الذي جمع معلومات دقيقة عن واقعة ازمالة هذه ، وقام بالدعاية بها لصالح السلطة الفرنسية [3].

1- المزاري بن عودة آغا ، **طلوع سعد السعود** ، تحقيق يحي بوعزيز ، ج .2 ، دار الغرب الاسلامي ، بيروت 1990 ، ص 207 .

2- **لمزيد من المعلومات يراجع : محمد بن عبد القادر الجزائري ، تحفة الزائر ، دار اليقضة ، ط 2** ، بيروت 1964 ، ص-ص 428 – 431

3- **لمزيد من المعلومات حول دعاية هذا الجاسوس ، يراجع : علي النبيري المرالي ، العود الجزائري** ، تقديم عميراوي احميدة ، دار الهدى ، عين مليلة 2006

6-2 – دور المعلومة في سقوط مدينة بسكرة :

بعد احتلال اهم المدن الساحلية ن وبعد أن تاسس نظام اداري محكم في شمال قسنطينة [1] . وبعد التوسع و التحكم في مناطق بالغرب الجزائري ؛ باحتلال اهم المدن التي كانت في يد الامير عبد القادر ؛ اتجهت السلطة الفرنسية الى الجنوب الجزائري . هذا الجنوب الذي كان موضع اهتمام اوروبا منذ فترات سابقة عن الاحتلال للجزائر ؛ مثلما كان موضع اهتمام فرنسا بالاساس . وقد قدمت دراسات كثيرة عن الصحراء .

ومن هذه الدراسات اذكر ما كتبه دي نفا (De Neveu)[2] عن هذه السياسة الإدارية في الشرق الجزائري مثلا:

و من غير المستبعد أن يكون المخبرون الفرنسيون قد تفطنوا الى اهمية التقرب من شيوخ المناطق ن وخاصة المناطق الجنوبية ، لهذا قدموا معلومات تفيد ما للهدية

1-عينت السلطة الفرنسية عام 1838 كلا من :

- حمودة بن الفقون في منصب شيخ الاسلام ،
- ابن عيسى الملقب بباش حامبا ايام حكم الحاج احمد باي خليفة على الساحل . يراجع وصف علي افندي حين التقى به سنة 1832 في :

Ali (Efendi), souvenir d'un voyage d'alger à Constantine , traduit de l'Arab par De sauley, paris – metz 1838

- ابن حملاوي عام 1838 على المنطقة من قسنطينة الى سطيف و جيجل ،
- الشيخ المقراني على منطقة بجانة ،
- ابن قانة في منصب شيخ العرب على منطقة الزاب ،
- الحسن بن عزوز
- علي بن با احمد قائد العواسي على فرجيوة .

2- يراجع هذا المخطوط في : A.G.H H235

من تاثير على نفسية السكان . وكان في مقدمة هذه الهدايا هدية البرنوس ، وكان ممن حضي بهذه الهدية الشيخ فرحات بن سعيد، إذ إنه و بحسب ما ذكره دي نفا الذي كان نصيبه ثلاثة برانيس عادية و واحد من الكاشمير . بجانب أربعة برانيس الى شيوخ من الحراكتة ن وعدد كبير من برانيس إلى شيوخ لهم مكانتهم في مناطق كثيرة [1].

بهذه السياسة الفرنسية تكون قد تمكنت من الدخول الى مناطق الجنوب الجزائري قبل ان تغزوها جيوشها ن ولهذا فحين قامت بحملتها على بسكرة و باتنة وجدت من يستقبلها ن وتمكنت من احتلال المدينة يوم 4 مارس 1844 . مثلما وجدت من يرفضها ن فجرت معارك كثيرة بينها و بين قوة الامير غبد القادر بقيادة خليفته الحاج محمد الصغير بن عبد الرحمن . لان المنطقة الجنوبية كانت تتقاسمها أربع قوى هي : قوة بني جلاب ، قوة الدوادة ن وقوة الامير عبد القادر ، وقوة ابن قانة . ويمكن اضافة قوة خامسة ونعني بها قوة النظام العثماني التي كانت الى حد تسيطر على اجزاء من المنطقة .

ولعل السبب الذي دفع بني جلاب للاحتماء بفرنسا هو اجحاف النظام العثماني في حقهم .

إذا ، بفعل قوة الجيش الفرنسي ، وبفعل ميل قوى محلية الى الصف الفرنسي ، وبفعل المعلومات الاستخبارية التي حصلت عليها السلطة الفرنسية تمكنت من احتلال بسكرة ن وباتنة عام 1844 ن و من ثم بدا التفكير في التوسع جنوبا اكثر .

1- A.M.g.H235

الفصل الثالث

مواقف و استعلامات

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد عرض سقوط بعض المدن ، ودور المعلومة الاستخبارية في توسيع دائرة الاحتلال ، احاول في هذا الفصل عرض مواقف معينة لأسماء فاعلة أمدت سلطة الاحتلال بمعلومات مفيدة ن وسبب تخصيص لها فصل لان المعلومات التي جمعوها ، وامدوها بها رجال الاحتلال هي التي حققت الانتصار لقادة الجيش باقل التكاليف . وكان كثير من العناصر الجزائرية وغير الجزائرية التي وظفتها القادة العسكريون اذكر بعضها باختصار كالاتي :

1- احمد بوضربة ،

2- حمدان بن عثمان خوجة و ابنه علي رضا افندي ،

3- موقف فرحات بن سعد و من معه ،

4- موقف الحسن بن عزوز ،

5- موقف عمر العيادي ،

6- موقف ضد سي زغدود ،

7- استخبارات ليون روش

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- **موقف احمد بوضربة:**

تعددت مواقف الجزائريين تجاه الاحتلال الفرنسي ، ومنهم احمد بوضربة الذي كان يتوق الى ان تكون الجزائر متطورة ، ولهذا السبب مال الى السلطة الفرنسية وزودها بمعلومات هامة ، بل تولى منصبا هاما في اول بلدية .

وقدم معلومات هامة الى اللجنة الافريقية عام 1832 ودعا فيها الى بقاء الاحتلال الفرنسي ، و الى مناصرة الحاج احمد باي ، و الى معارضة الا مير عبد القادر . على خلاف بعض الأطراف الأخرى التي طالبت بالجلاء ، و بالوقوف مع الامير عبد القادر .

2- **موقف حمدان خوجة و ابنه علي رضا افندي :**

مما لاشك فيه إن لكتاب المرآة الذي الفه حمدان خوجة (1973-1841) وترجمه حسونة الدغيس عام 1833 مساهمة كبيرة في حصيلة المعلومات التي جمعتها السلطة الفرنسية ، و وظفتها في عملية الاحتلال و التوسع و الاستيطان فيما بعد .اذ إن حمدان خوجة قدم للسلطة الفرنسية معلومات هامة ن من بينها انه اقترح على دو روفيكو الاتصال بالمرابط بن عيسى و التودد له لان ذلك يعمل على منع الجزائريين من الثورة ضد فرنسا ، و على تفريق تجمعاتهم . و بالفعل تم الاتصال بهذا المرابط .

بجانب المغلومات التي ضمنتها في كتابه المرآة ، و في مراسلاته ، و في أجوبته عن الأسئلة التي طرحتها اللجنة الإفريقية في الجزائر بداية الاحتلال .

و تعد مذكرات علي رضا عملا مكملا من حيث المعلومات لكتاب ايه المرآة .

إذ استفادت السلطة الفرنسية من مذكرة على رضا افندي (توفي عام 1876 عن عمر يقارب الستين) بعد ان ترجمها المستشرق دي سولسي الى الفرنسية عام 1838 بعنوان :

(Souvenirs d'un voyage d'alger à Constantine à travers les montagnes).

إذ إن سلوسي طلب من علي رضا كتابة ماهده في رحلته برفقة والده من الجزائر الى قسنطينة عام 1832 ، ولبى الطلب فضمن مذكراته هذه معلومات هامة ، مكنت قادة الاحتلال من التعرف على الوضع الاجتماعي و الجغرافي في الداخل ، وفي بايلك قسنطينة .

وكان هدف هذه الرحلة السيطرة على بليك الشرق من دون حرب ، أي بالتفاوض مع الحاج احمد باي بواسطة حمدان خوجة . و من غير المستبعد ان يكون الهدف ايضا جمع معلومات عن مخططات احمد باي ، و الاتصال بالمرابط بن عيسى [1] ذي النفوذ الواسع في جرجرة . وقد تم الاتصال به . وتمت الرحلة في سرية تامة .

1- يعد هذا الشيخ من الشخصيات ذات النفوذ المنتمي الى الطريقة الرحمانية في منطقة جرجرة كلها .وهو من الذين تصدوا للاحتلال الفرنسي . و من الذين احتجوا على قائد الاحتلال حين استولى على مساجد العاصمة . ينظر : رسالة الدوق دو روفيكو الى ابن عيسى يوم 8 اكتوبر 1832 في :

Correspondance de Duc de Rovigo (1831-1834),t.2,p-p.480-481

وينظر كذلك :

Hamdan , Le miroir, Goetshy, paris 1933,p-p10-13

وبرغم أن محاولة التفاوض فشلت بين احمد باي ودو روفيكو إلا أن المعلومات الاستخبارية التي قدمها حمدان للسلطة الفرنسية قد استفاد منها الفرنسيون في احتلالهم المدن الشرقية .

وقد كانت تلك المعلومات التي قدمها حمدان خوجة أحسن أداة للتوسع الفرنسي فهذا حمدان خوجة صرح بقوله : وبما انني كنت ارغب بصدق في سعادة وطني رأيت من واجبي أن ابلغ الى الجنرال بوايي (Boyer) المبادئ التي طبقها العثمانيون ، التي على اساسها امكن اخضاع القبائل . وقد رجوته أن يبلغ الجنرال كلوزال هذا كي يلتزم بهذه المبادئ إذ كانت لفرنسا نية الاستفادة من الجزائر ونشر العلم و الحضارة بها [1] .

4 – موقف فرحات بن سعد و من معه :

نتج عن الصراع بين أسرة بوعكاز و ابن قانة حقد كبير ، استفاد منه الفرنسيون بالدرجة الاولى ، من ذلك أنه سبق للحاج احمد باي أن افتك مشيخة العرب من بيت بوعكاز ، من الشيخ فرحات بن سعيد و ولى عليها صهره بوعزيز بن قانة [2] . فما كان من شيوخ هذه الأسـرة إلا أن اتصـلوا بالفرنسيين منذ السنة

1- يراجع :

Hamdan (K), Le Miroir . p-p.82-83

2- للمزيد من المعلومات تراجع : **مذكرات احمد باي ، المرجع السابق** . ص-ص .24-26، 40

الاولى من الاحتلال ، وكان في مقدمتهم فرحات بن سعيد الذي كاتب قادة الاحتلال منذ عام 1831 ، يحثهم على ضرورة احتلال قسنطينة[1] .

وكان فرحات بن سعيد ذا نفوذ كبير في منطقة الصحراء ، إذ ان السلطة قدرت قوته سنة 1837 بحوالي 23.000 فارس [2] .

و لتحقيق هدفه بالانتقام من احمد باي لم يكتف بالاتصال بفرنسا و تزويد قادتها بمعلومات هامة ؛ بل تحالف مع ابراهيم باي الذي سبق له ان تولى الحكم على قطاع الشرق الجزائري خلال السنوات 1822- 1824 . وتحالف كذلك بومزراق باي التيطري . وتحالف كذلك مع يوسف المملوك ن وحثه على الهجوم على احمد باي و احتلال قسنطينة [3] .

وبعد فشل الحملة الفرنسية الاولى على قسنطينة بعث برسالة عام 1836 الى يوسف المملوك يعرض عليه معلومات هامة ، وخطة هجوم على قسنطينة . إذ جاء فيها [4] :" حفظ الله تعالى... سيدنا يوسف باي ....و بعد اعلمك بانه بلغنا ما فعلت و ما صنعت ...هذا فعل السلاطين الا انه لم يتم لكونك عزمت بالغزية بالمحاربة و لم تتربص لا كنه لو تربصت و اتيت ترحل و تترل الى نزلت سطح المنصورة وقطعت عنهم الماء و الطعام و الفحم و السمن و التبن و غير ذلك لقضيت حويجك

1- Esquer (G) , Correspondance du général Drouet d'Erlon (1834-1835), Honore E .Paris ,1926,p-p.479-480,553-554

2- يراجع : A.M.G. H226

3- Esquer (G) , Correspondancede Duc de Rovigo (1831-1833),t.1,p.47

4- ينظر ملحق رقم 2

لا بد تعزم بالرجوع الى موضعك الضي كنت فيه ترحل و تترل و انزل على سطح المنصورة وامهل واياك و الفتنة ليلا يصير لك كما صار في السابق و اقطع عليهم الماء و جميع المئونة .... وحيث لم ندرك الفتنة الاولى لا لوم علينا و لما قصدنا القدوم نحوك رجعت و لم يبقى لنا كلاما و اما امر العرب فانها هبطت هاربة الى الصحراء باجمعها و كذلك الصحاري الذين تخلفوا فانهم هبطوا في هذه الايام الى الصحراء و لم يبقى سوى احمد باي و زمالته و قليل من اتباعه فإن لم تظفر بها في هذه الشتوة وتدخلها فلا أبقيت تملكها أصلا و الله اعلم العزم ثم العزم لنا بما ذكرنا لك لان الناس كلها سمعت بك ... ارجع الى قسنطينة و انزل عليها و لا تقصر في هذه الايام و هاهي أعيننا عليك و لا غفلة عنك ان كنت قاصدا الامر كما ذكرنا لك و إلا بان ألغيت ثم و ناتوك فلا يتمكن لنا لان العدو حايل بيننا و بينك

واما اخانا الحاج باي الذي كان محبوسا فانه قدم لنا بخير وعافية قايلا لنا فلو قدم يرحل ويترل وتربص و لم يفتن وقطع عنها الماس لفتحوا من غير بارود و لاكنه الواقع لا يرتفع . اما فنحن مقيم عند الشيخ احمد الشريف و ما ننظر الا وعد الله و وعدك و اعزم لنا بالرجوع وإذ رجعت ونصرك الله فتبنى الجوامع الذين هدمتهم المحلة المنصورة كما كانوا لابد.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

5- موقف الحسن بن عزوز من السياسة الفرنسية

كانت للحسن علاقات مختلفة؛ مع الامير عبد القادر الذي عينه خليفة عام 1838 ، ومع فرحات بن سعيد عدو الحاج احمد باي ، ومع الفرنسيين . ولهذا فهو من الشخصيات التي كانت على دراية بامور البلاد . وهو الذي كلفه فرحات بن سعيد للاتصال بالدوق دو روفيكو القائد العام سنة 1832 بهدف التعاون مع فرنسا للقضاء على الحاج احمد باي [1] . ويمكن اعتبار هذا الاتصال الاول في كسب التاييد لفرنسا من الصحراء [2] ، و المصدر الثاني المباشر الذي عرف منه قادة الاحتلال اهمية الصحراء ، باعتبار أن قائد الحملة استخبر العالم الموريطاني طوير الجنة اثناء مروره الى الحج عن طريق الجزائر العاصمة [3] .

و الذي يهمني من مواقف الحسن بن عزوز هو المعلومات التي جمعها في مشروع مكتوب وسلمه للسلطة الفرنسية كي تعمل به من اجل استثمار الجزائر . و السؤال كيف به و هو الرجل الخطير ، الذي كان اداة الرعب في البلاد ، حسب

1- تمكنت السلطة الفرنسية من القبض على الحسن بن عزوز ونفيه عام 1841 ثم الى عنابة عام(1844) . لمزيد من المعلومات عن علاقة فرحات بن سعيد بالحسن بن عزوز يراجع :

R.A.N° 28 ,p-p .219-240,253-272,321-338

2- نتج عن هذا الاتصال ابادة قبيلة العوفية لانها تعرضت للحسن بن عزوز بالسوء ، لمزيد من المعلومات يراجع كل من :

يحي بوعزيز ، الامير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري ، الدار العربية للكتاب و الشركة الوطنية للنشر و التوزيع - تونس 1983، ص-ص 219-220

3- لمزيد من المعلومات يراجع :

Féraud (Ch) , Le Sahara de Constantine , Alger 1887, p p264-272

شهادة الجنرال نيقريه (Négrier)[1] ، وهو رجل دين يتحول الى مرشد لصالح الاستيطان الفرنسي ؟

ان الصراع الكبير الذي كان بين اقوى الاسر في الصحراء هو الذي دفع بعضهم الى الاحتماء بفرنسا ، من ذلك فقد اتصل فرحات بن سغيد خليفة الشيخ الذباح بالفرنسيين أكثر من مرة ، وكون علاقة مع على بن جلاب سلطان توقرت . ومن جهة أخرى راسل قنصل فرنسا في تونس .

و من جهته بعث برسالة الى حاكم الجزائر قال فيها : " لقد وعدتنا بانك ستتفرغ للهجوم على قسنطينة اننا ننتظر ذلك بفارغ الصبر . وانني ارسل لك ابني مرة اخرى لتاكيد رغبتي في ذلك بالرغم من الحاج احمد باي قسنطينة قد كلف ابن قانة بالهجوم علي ولهذا السبب اتصلت بك . وإنني انتظر عودة ابني لأقوم بعدها بالهجوم على ابن قانة . وانني اتعهد بإرسال اعيان منا كرهينة الى مدينة عنابة لتأكيد التزامنا بالهجوم على مدينة قسنطينة التي ستسقط بعون الله في ايدينا [2].

وفيما يخص الحسن فقد بعث برسائل كثيرة الى جهـــات متعـــددة حول

1- Yacono (X) , Les premiers prisoniers algérien.de l île saint marquerite (1841-1843),in R.H.M, N° 1, Tunis 1974,p 56

2- ينظر :

Féraud (Ch) , les ben Djellab, in R.A.N° 24, P.299.

ـ نقلا عن عمراوي احميدة ، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث ، ط.2، دار الهدى 2005 ، بداية من صفحة 180) .

القضية الجزائرية[1] .

و الذي يهمني في هذا المقام ما بعث به الى ملك فرنسا عام 1841 [2] عارضا عليه مشروعه المتضمن اربعا وعشرين نقطة ، افتتحها مخاطبا الملك الفرنسي قائلا : " ... لتعلم اننا نرجو من الله تعالى .. أن يعطيك عشرة خصال الها السلطنة و النصر و الظفر و المال و الاولاد و العافية و الهناء و البسطة في الرعية و طول العمر و البركة ".

وقد استفادت فرنسا بما قدمه لها من معلومات ، اذ بعد أن بين إن سبب تقدم كل من مصر و تونس يرجع الى دور فرنسا قدم هذا البرنامج كشرط للبقاء الفرنسي و تعمير البلاد ، و الحصول على فوائد كثيرة للعباد ، و محتوى هذا البرنامج هو :

- أن يحكم البلاد ابن السلطان نفسه ، لان الجزائر لا تصلح بحاكم عربي او تركي "

و ان تحتل كل من المدن الجزائرية ، و ان يتكون الجيش من الفرنسيين و الجزائريين . على ان تحتفظ السلطة الفرنسية بأولاد ونساء المجندين الجزائريين كرهائن ، وهذا لحماية المصالح الفرنسية و الجزائرية .

مع ضرورة تعليم ابناء الفرنسيين اللغـــة العربية و ابنـــاء العرب اللغة الفرنسية

1- Yacono (X) , Les premiers prisoniers algérien.op.cit .p.57

2- يراجع محتوى هذه المراسلات من عام 1842 الى عام 1843 في :
Yacono (X) , Les premiers prisoniers algérien.op.cit .p.56-59

3- ينظر ملحق رقم

ودعا الى ضرورة العمل باحكام الشريعة الاسلامية فيما يتعلق بالاحوال الشخصية للجزائريين ، وبنصوص القانون الفرنسي فيما يتعلق بمجالات الحياة المدنية.

ودعا الى استبدال شيوخ القبائل بخلفاء فرنسيين . وفطن الحسن بن عزوز الى ضرورة احصاء عدد الخيول و المباني .

مثلما دعا الى بناء السجون في الجزائر بدل النفي و السجن خارجها .

ولفت النظر الى استغلال المياه وحسن تصريفها في قنوات للري لان ذلك سيساعد على فلاحة الارض و تطويرها .

مما لاشك فيه أن هذه المعلومات قد افادت فرنسا كثيرا ، فهي لا تقل اهمية عن المعلومات التي تجمع عن نقطة معينة لاحتلالها ، خاصة و انها جاءت من رجل ذي بعد نظر مثل الحسن بن عزوز .

6- موقف عمر العيادي ضد الزمالة :

لا ادري من هو عمر هذا ، ولكن المهم انه كان السبب في تدمير مدينة متنقلة عام 1843 نتيجة معلومة استخبارية سلمها – بالمجان او بالمال – عمر العيادي الى الدوق دومال ، هذا الاخير الذي كان يبحث عن قوة الأمير لضربها ، إذ بعد ان رصد عمر مكان الزمالة في منطقة كوجيلة بطاقين اخبر القائد الفرنسي الذي باغتها وقضى عليها ، واستولى على مافيها من ثمين ، جواهر

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

وخزائن حربية ومكتبة الامير ، واسر من المسلمين عدد كبير بمافيهم الخليفة السيد محمد بن علال ، ومحمد الخروبي ، وقدور بن الرويلة [1] .

فكانت لهذه المعلومة الاستخبارية الوشاية فعلا مؤثر ، من رجل واحد كانت السبب في القضاء 60000 نسمة .

7- موقف ضد سي زغدود :

حدث ايضا ما كان للجوسسة و الوشاية من اثر مباشر على اضعاف مقاومة الشمال القسنطيني بقيادة سي زغدود خلال الفترة الممتدة من عام 1842 الى عام 1843 .

جند سي زغدود جيشا قوته 6500 مجاهد من اعراش كثيرة ن ممتدة من الحروش الى سكيكدة و القل و الميلية و هي : زردارة و المجاجدة ، و بني توفرت ، و بني صالح ، و اولاد الحاج ، و اولاد عطية ، وبني ولبان ، و بني اسحق ،والنعابنة ، و بني بشير، وبني بونعيم، و اولاد بالعفور، وأولاد عيدون ، وبني صبيح، وبني قائد ، وبني خطاب ن واولاد مبارك ، ومولاي شقفة [2] ولم تتمكن فرنسا من القضاء عليه الا بتجنيد من يقتله غدرا ، من ابناء جلدته و هو الذي حصل عام 1843 فضعفت المقاومة وتفرغت فرنسا للتوسع في الجنوب الجزائري .

1- تحفة الزائر ، المرجع السابق . ص-ص.428 431

2- A.M.G.H 209

8- استخبارات ليون روش [1]

هو ليون بن الفونس روش (1809 -1901) مارس التجارة، وساح في بلدان كثيرة مثل كرسيكا وسردينيا ، واستقر به الامر في الجزائر برفقة والده المنخرط في جيش الحملة الفرنسية الى الجزائر ن ولكن والده اهتم بالفلاحة في متيجة وجاءه ابنه ليون من مرسيليا عام 1832 وساعده على فلاحة الارض .

وسكن منزل ابيه في منطقة إبراهيم رايس . فكانت له فرصة لتعلم اللغة العربة باحتكاكه السكان يوميا .

تعرف على مسيرين في ادارة الاحتلال ، ومنهم الدوق دو روفيكو القائد العام و السيد جانيتي دي بيسي المقتصد المدني . وعينه دو روفيكو ضابطا في فرقة الفرسان ورافق الجنرال في حملات عسكرية . وتولى مهمة الترجمة في الجيش الافريقي ، وخاصة في اللقاءات التي جرت بين اللجنة الافريقية و الجزائريين عام 1833 .

ولما عينه كلوزال عام 1835 مترجما رئيسا دخل عالم الجوسسة باطلاعه على ما كان يجري بين الطرفين الجزائري و الفرنسي .

وكانت المعلومات الاستخبارية التي جمعها روش من معسكر الامير هامة جدا ، إذ انه تمكن من توظيف ما نصت عليه بنود المعاهدة المبرمة بين الامير

1- ولد ليون روش في مدينة غرونوبل في فرنسا من ابوين فرنسيين ، بدأ دراسته في ثانوية المدينة نفسها وحصل على شهادة البكالوريا سنة 1828 ، ودخل الجامعة وانقطع عنها .وكان يهوى المغامرات .

وفرنسا والقاضية بالسماح لاي طرف التنقل بحرية في مناطق نفوذ الطرف الاخر ، فتنقل ليون الى معسكر الامير ، ولكن لاي هدف ؟

بحسب قوله إن هدفه هو :

- الدخول في الاسلام و التعمق فيه ،
- نشر الحضارة الاوروبية وتنوير المسلمين
- تقديم خبرته وخدمته للامير عبد القادر ،
- التقرب من عشيقته خديجة التي رحلت من الجزائر العاصمة مع زوجها وتوطنت في مدينة المدن التي هي تحت نفوذ الامير عبد القادر .

لكنه من خلال تتبع نشاطه يتاكد الامر في ان الهدف الحقيقي هو التجسس على الامير و على القبائل المناصرة له ، وكذلك على القبائل المعادية له .

المهم انتقل عام 1837 الى الامير عبد القادر الذي منحه ثقته الكاملة وبسرعة . وجعله مستشاره و مترجمة ن بل قربه اليه الى درجة ان كان يحضر الجلسات السرية الضيقة مع خلفائه للتشاورفي ادق الامور المصيرية .بل كلفه بالتفتيش ان لم يكن الاشراف على مصانع التسليح .

هكذ خلا الجو امام روش ، وفتحت له الابواب يتنقل بحرية ، فجمع كل المعطيات عن شخص الامير ، وعن ادارته ، وعن علاقاته ، وعن موقف اعدائه .المهم جمع كل كبيرة و صغيرة .

وقد تفطن الى نشاطه خلفاء الامير ، ومنهم البوحميدي فارادوا قتله ن لكن الامير انقذه وعفا عنه بحجة انه مسلم . ولما تاكد روش ان امره كشف هرب الى وهران عام 1839 سرا اثناء غياب الامير .

وبلغ روش كل التفاصيل عن دولة الامير ومخططاته الى قادة الاحتلال فما كان منهم الا ان جهزوا حملات عسكرية وهجموا بها على مدن الامير التي سقطت المدينة تلو الاخرى ، وانني اذهب الى راي وهو ان سقوط تاقدامت ومعسكر عام 1841 – مثلما سبق الذكر في الفصل الثاني – كان بفعل المعلومات التي جمعها روش .

وقد تفطنت السلطة الفرنسية الى اهمية كسب بعض اشباه الفقهاء من الجزائر او من خارجها للتاثير على الجزائريين ن ولاقناعهم بعدم المقاومة ضد الاحتلال و التوسع ، ولهذا كلفت السلطة الفرنسية المخبرليون روش للذهاب الى مكة المكرمة متنكرا كمسلم باسم عمر عام 1842 لانتزاع فتوى من فقهائها لصالح فرنسا بالدعوة الى وقف الجهاد .

ولبس روش من جديد لباسه العربي ، وتظاهر بالتفقه في الشريعة ، وبعد معاناة سفر وصل الى مكة كحاج وحاول انتزاع الفتوى ، لكن محمد بن علي السنوسي تصدى له ن وكان هو الوحيد من بين الفقهاء الحاضرين في مكة الذي عارض ذلك ، لان السنوسي كان من دعاة الجهاد الاسلامي ، و من المتحمسين الى تاسيس خلافة اسلامية للوقوف ضد التاثيرات الاجنبية . ونتيجة لموقف السنوسي هرب ليون روش سؤا خوفا على حياته ، ولكنه عاد مزودا بفتوى [1].

ويمكن حصر أهم الاعمال التي قام بها ليون روش كجاسوس خلال فترة بحثي في انه:

1- عميراوي احميدة ، **الامير خالد وخطاب الحركة الوطنية** ، دار الهدى ، الجزائر ، 2006 ، ص .96

1- نجح في البقاء مدة سنتين في قلب الحدث الجاري في ادارة الامير عبد القادر ، وتعرف على كل التفاصيل الدقيقة المتعلقة بشخص الامير عبد القادر . وبكل علاقاته ، وادارته ، و دون ذلك كله ، ونقله سر الى قادة الاحتلال الفرنسي وكان من نتائج تلك المعلومات الاستخبارية ان حقق الفرنسيون نجاحا عسكريا كبيرا باستيلائهم على مدينة تاقدامت ومعسكر عام 1841 .

2 - فتن بين الامير عبد القادر و التيجاني في عين ماضي ، إذ ان الامير كلفه بالاتصال و التفاوض معه قبل الهجوم عليه ، فما كان من ليون روش الا ان اشعل النار بينهما ، ودفعهما الى المواجهة الحربية التي انهكت قواهما . وبحسب قناعتي يعود سقوط مدينة عين ماضي في يد الامير عبد القادر ، وبالتالي يعود ضعف قوة الامير بعد هجومه على هذه المدينة الى دور هذا الجاسوس ليون روش.

3- نجح في التجسس على مملكة المغرب ، وجمع كل التفاصيل عن قوة الملك و عن مخططاته ، وعن علاقاته بالقبائل سواء المناصرة له ، او المعادية ضده . وقد تمكن رجال الاحتلال الفرنسي بفضل هذه المعلومات الكافية من الانتصار على الجيش المغربي ، و بالتالي من فرض معاهدة طنجة عام 1844 . التي كان من أثارها ان ضعف المغرب ، وضعف الامير عبد القادر كذلك .

4 - نجح في المهمة التي قام بها الى تونس ن مصر ، و الحجاز ؛ وحصوله على فتوى من علماء القيروان و علماء الازهلر ومكة و المدينة ، ومحتواها دعوة الجزائريين للتوقف عن الجهاد . وقد كان لنص هذه الفتوى مفعولا كبيرا ، انطلى على كثير

من الجزائريين وتقاعسوا عن الجهاد [1].

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1- لمزيد من المعلومات يراجع : يوسف مناصرية ، مهمة ليون روش في الجزائر و المغرب (1832 – 1847) المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1990 ، ص .37 و ما بعدها .

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مما تتقدم يمكن استخلاص النتائج التالية :

1- ان المعلومة الاستخبارية هامة جدا . وقد بلغت درجة كبيرة من الاهتمام و التوظيف عهد نابليون بونابرت .

2- كانت الجزائر محل اهتمام الدول الأوروبية ، وبخاصة من قبل بونابرت الذي حاول احتلالها .

3- وظفت السلطة الفرنسية كل معلومة او خبر من كتب الرحالة و القناصل و الاسرى و رجال الدين القساوسة ، و الجواسيس و العسكريين .

4- وظفت السلطة الفرنسية المعلومة بالخصوص في حملتها على مدينة الجزائر عام 1830 ، بشكل موسع ودقيق ، واستقتها من مصادر متعددة .

5 – اعد اكثر من مشروع لاحتلال الجزائر، وكان اهم مشروع نفذ هو لبوتان .

6- لعبت الاستخبارات الفرنسية دورا هاما في احتلال المدن ، إذ تعرفت على مواطن القوة ، وبواطن الضعف في صفوف الجزائريين .

7- مال بعض الشيوخ الجزائريين المشهود لهم بالقوة الى الصف الفرنسي ، نكاية بالحاج احمد باي . الامر الذي مكن السلطة الفرنسية ان تحتل مدنا كثيرة من دون جهد و خسائر

8 كان للوشاية و التجسس دورا فاعلا في القضاء على بعض الزعامات ، و بالتالي في اضعاف المقاومة الجزائرية .

9- يعد دور كل من بوتان وليون روش اكبر الادوار في الاستخبارات الفرنسية في مراحل احتلال المدن الجزائرية .

الملاحق

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

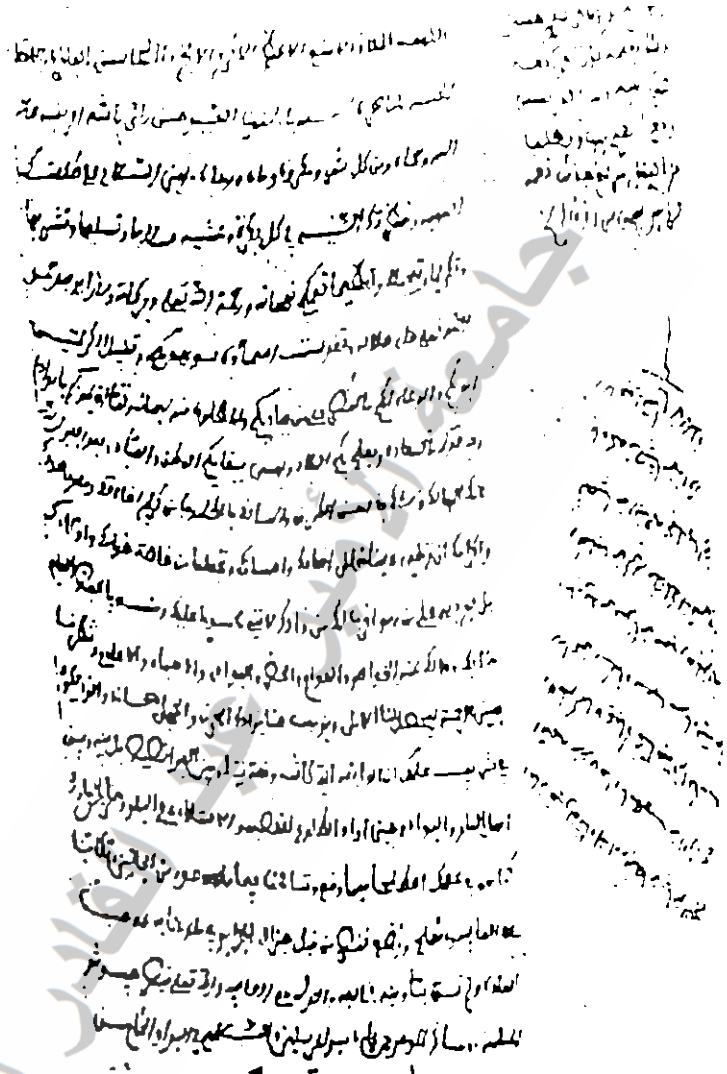

ملحق رقم 1

من إبراهيم باي إلى باي تونس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد حفظ الله تعالى بمنه وكرمه ذات المكارم المعظم الأمثل الوجيه الأفضل المبجل الزكي الأمثل الفاضل الأكمل الأعدل الملك الهمام سيدنا يوسف باي آدام الله وجود هو بلغ في الدارين مقصوده، أي السلام عليك ورحمة الله وبركاته وتحية رضوان يليه فإذا كنت بخير فترانا كذلك وبعد أعمك بأنه بلغنا ما فعلت وما صنعت فهم ما المقصوع عليك وتارك فيك وفي صنيعك هذا وتدبيرك هذا وفعلك هذا فعل السلاطين إلا أنه لم يتم لكونك عزمت بالعساكر وبالمحاربة ولم تتربص ولاكنه لو تربصت واتيت ترحل وتنزل إلى أن نزلت سطح المنصورة وقطعت عنهم الماء والطعام والبصل والسمن والتين وغير ذلك لقضيت حوايجك كما تريد وتغلب الدايم الذي لا ينفك ولكنه سابق في علمه ولما أن عجلتم بأمر وقع واليوم أن أردتم النصر على الأعداء والغلب الدايم الذي لا ينفك ولكنه سابق في علمه ولما أن عجلتم بأمر وقع ما وقع واليوم أن أردتم أن أردتم النصر على الأعداء والغلب الدايم لا بدّ تعزم بالرجوع إلى موضعك الذي كنت فيه ترحل وتنزل وأنزل على سطح المنصورة وأهمل وإياك والفتنة ليلا يصير لك كما صار في السابق واقطع عليهم الماء وجميع المئونة مما يدخل لهم من الطعام والبصل والسمن والتين فانهم يدخلون تحت طاعتك ويخدمونك من غير مزية حقا ولاكنه حين تقدم الموضع الذي ذكرنا لك فأسرع لنأتوك بنجعنا وقومانا ولا تنقصر وتنظر ما تفعل في أعداء الله بحوله وقوته ولا فخر وحيث لم ندرك الفتنة الأولى لا لوم علينا بل أن قصدنا القدوم نحوك رجعت و لم يبق لنا كلاما وأما أمر العرب فإنها هبطت هاربة إلى الصحراء بأجمعها وكذلك الصحراويين الذين تخلفوا فانهم هبطوا في هذه الأيام إلى الصحراء و لم يبق سوى أحمد باي وزمالته وقليل من اتباعه فإن لم تظفر بها في هذه الشتوة وتدخلها فلا أبقيت تملكها أصلا والله أعلم العزم ثم العزم لنا بما ذكرنا لك لأن الناس كلها سمعت بك و لم تصادفها هذه المحاربة وهاهي متأسفة عليها كثيرا وغايضها الحال كثيرا فان أردت أن تملك البلادوتذل لك رقاب أرجع إلى قسنطينة وانزل حينئذ ولا تقصر في هذه اليام وهاهي أعيننا عليك ولا غفلة عنك إن كنت قاصدا الأمر كما ذكرنا لك وإلا بان ألغيت ثم وناتوك ولم يتمكن لنا لأن العدو حايل بيننا وبينك حقا فان قدمت و لم ناتوا فاللوم علينا ولا ابقيت تصدقنا وأنت لا بدّ تخبرنا بالواقع ساعة عين من أجل والله يصلح لنا الأحوال والسلام من الواثق بالله ورسول فرحات وفقه الله آمين كتبت في أول من رمضان 1252 (1836).

وأما أخانا الحاج باي الذي كان محبوسا فانه قدم لنا بخير وعافية قايلا لنا فلو قدم يرحل وينزل وتربص و لم يفتن وقطع عنها الماء لفتحوا من غير بارود ولا كنه الواقع لا يرتفع. أما أنا فنحن مقيم عند الشيخ أحمد الشريف وما ننظر إلاّ وعدك ووعدك واعزم لنا بالرجوع وإذا رجعت ونصرك الله فتبنى الجوامع الذين هدمتهم المحلة المنصورة كما كانوا لا بدّ.

ملحق رقم 2

من فرحات بن سعيد إلى يوسف المملوك

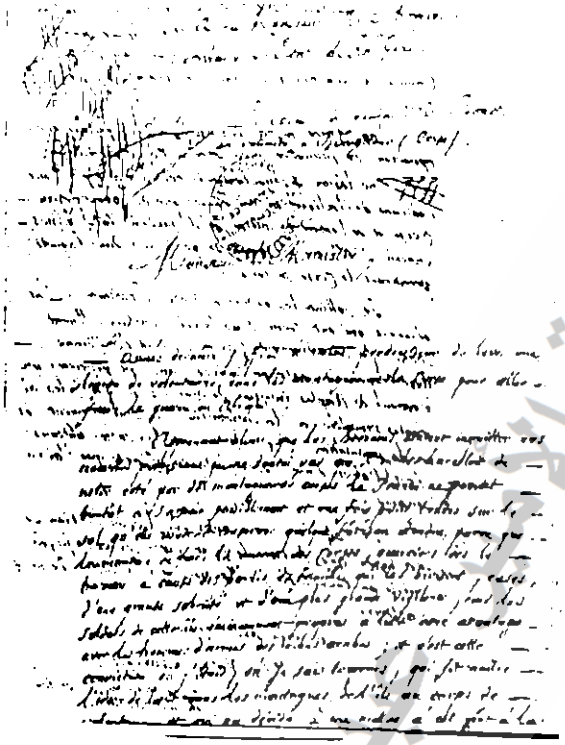

ملحق رقم 3

من بونلي إلى قادة الاحتلال

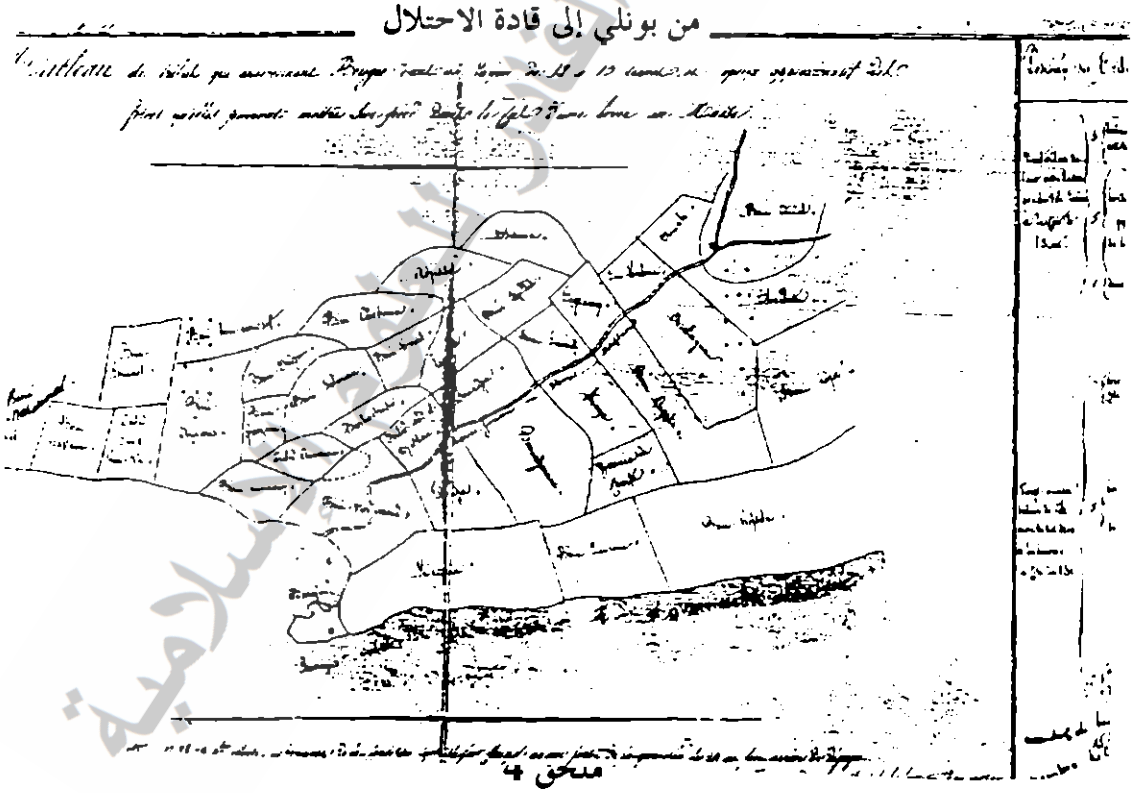

ملحق 4

عن سكان بجاية

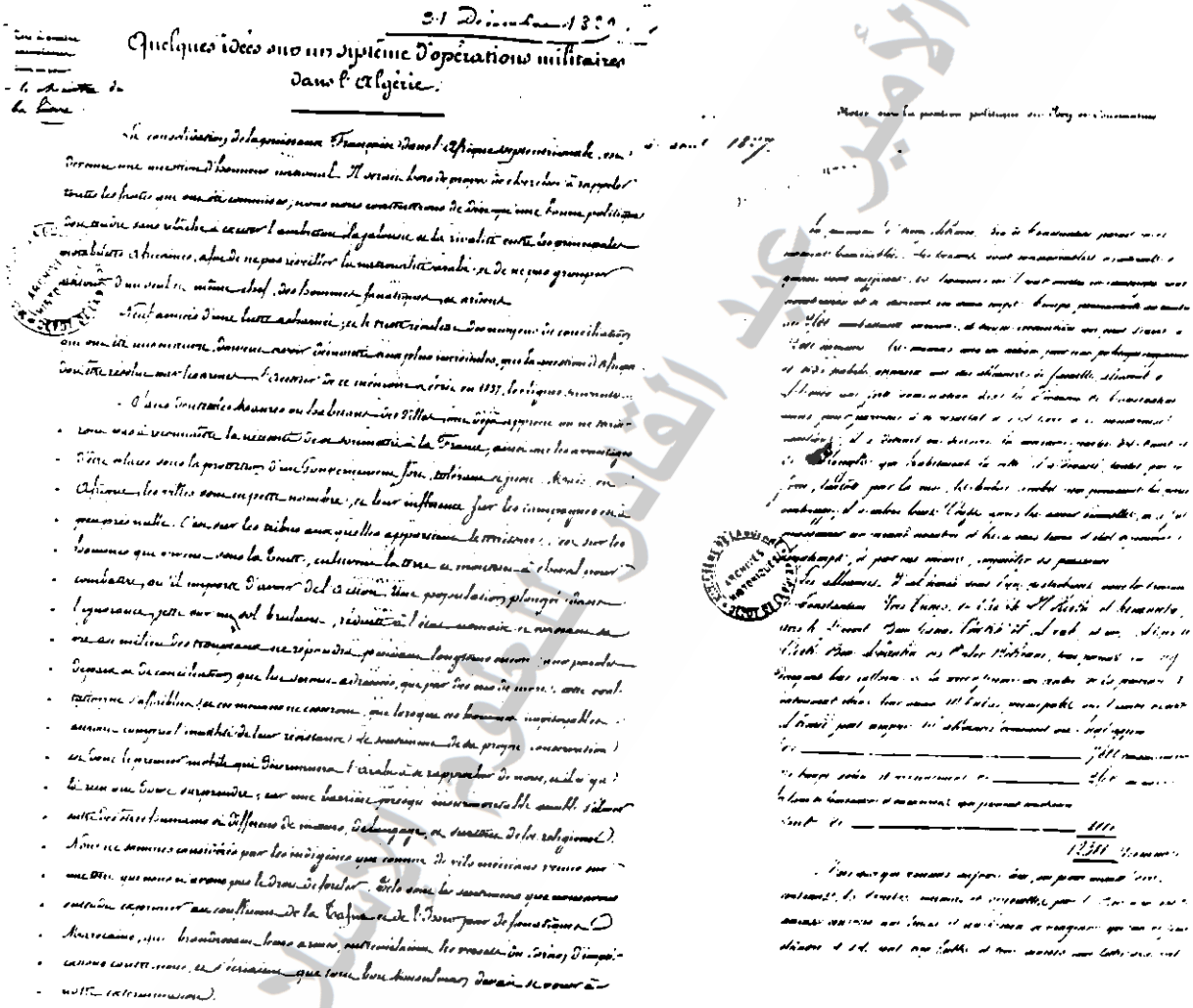

Quelques idées sur un système d'opérations militaires dans l'Algérie.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق 5

عن وضع الحاج أحمد باي

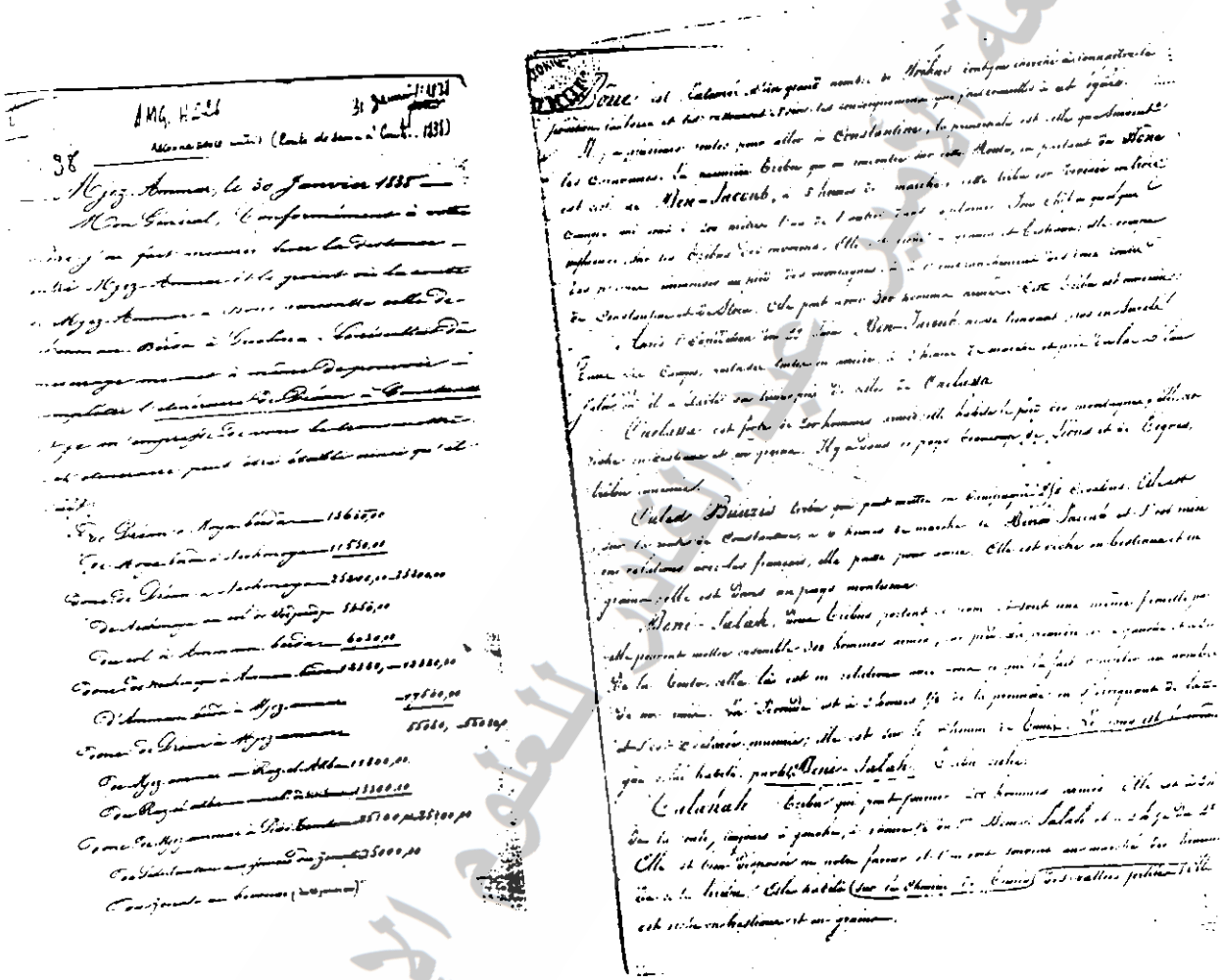

ملحق 6

استطلاع في شمال قسنطينة

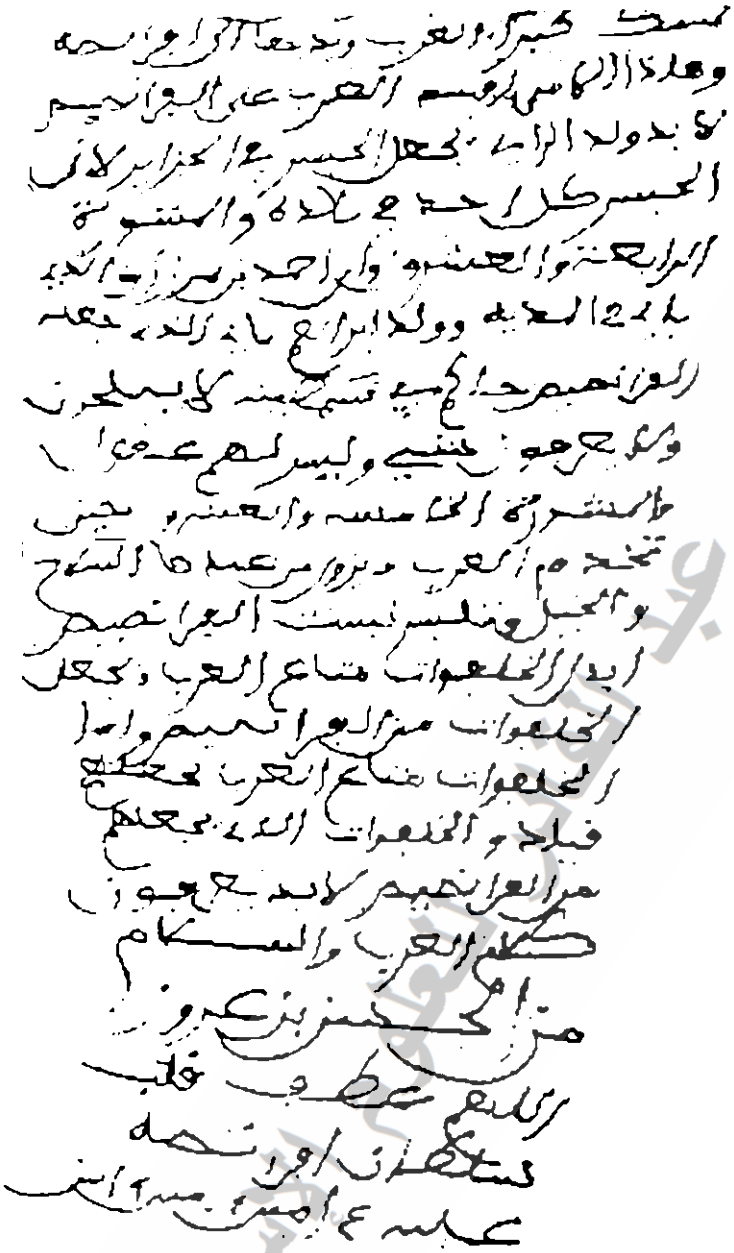

ملحق 7

من مشروع الحسن بن عزوز

الحمد لله ... إلى القبطان الجلنار فإن الحاج الزين وبكر ومحمد بن عمار وصالح بالقوس كلهم يسلمون عليك كثير ويخبرك بالخير ان شاء الله وكن هنينا من أحمد باي راهو قدم عليه فرحات بن اسعيد اخذ له زوج أعراش من الداير وقطعوا خمس وثلاثين رأس وسط عليه في أم الأصناب وراه في ضيق شديد وخاله هرب من البلاد حتى بلغ إلى بلاد الحراكت وأما هذه الأجواد الذي قدموا منهم بن اسعيد وبن يلس وشيخ ريغة وأولاد موصلي وبني مقران والحشم وهذا مافي علمنا خبرناك به لأنك حاكم بلادنا ومنا نحن نريد من الله ثم منك بلادنا والسلام على الحاج مصطفى بن كريم كثير وجميع حبابنا بعنابة والسلام على من تبع الهدى.

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد...

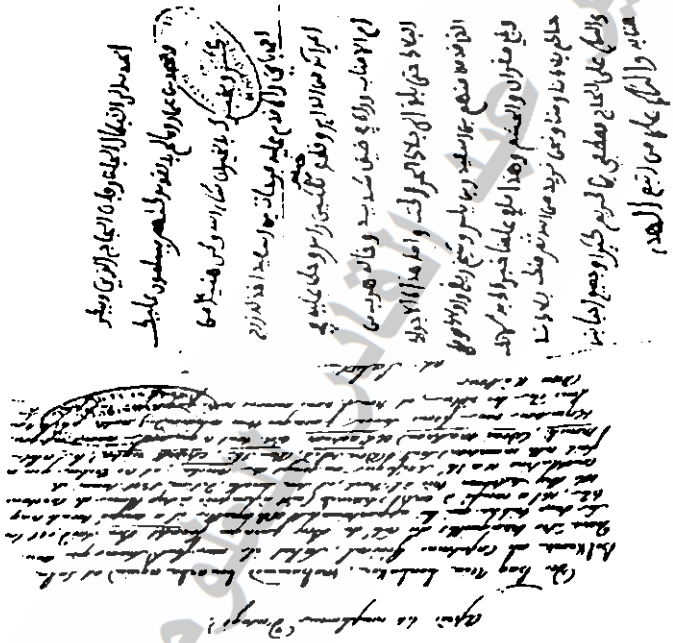

ملحق رقم 8

من بعض المخبرين الجزائريين

مصادر ومراجع

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أولا: المصادر والمراجع باللغة العربية:

أ

* أبو القاسم سعد الله:

1- **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط. 3، ش. و. ن. ت، الجزائر 1982

2- **تاريخ الجزائر الثقافي**، ج. 6، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1998

* أرجمنت كوران، **السياسة العثمانية تجاه الاحتلال الفرنسي للجزائر**، تعريب عبد الجليل التميمي، ط. 2، تونس 1974.

ص

* صلاح **العقاد، المغرب العربي**، ط. 3، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة 1969

ع

* عميراوي احميده:

1- **دور حمدان خوجة في تطور الضية الجزائرية 1827–1840**، دار البعث 1987

2- **الجزائر في أدبيات الرحلة والأسر**، دار الهدى، عين مليلة 2003

3- **السياسة الفرنسية والمقاومة الوطنية (1830-1858) في الشرق الجزائري**، أطروحة دكتوراه دولة، جامعة قسنطينة 1999

4 – **محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث**، ط. 2، دار الهدى 2005

5- **الأمير خالد وخطاب الحركة الوطنية، دار الهدى 2006**

6- "التواجد الفرنسي في بجاية"، **الثقافة**، العدد، 100، مجلة تصدرها وزارة الثقافة، الجزائر 1988

* – علي أفندي، **وصف رحلة من الجزائر إلى قسنطينة عام 1832**، ترجمة عميراوي احميده، المكتبة الجامعية، غريان ليبيا 2003

* حمي بودرع المالي، العود الجزائري، تقديم عمراوي احميده، دار الهدى، عين مليلة 2006.

* عبد المجيد قدور، **الجالية الفرنسية ودورها الاقتصادي والسياسي في الجزائر أواخر العهد العثماني** 1750–1830، دكتوراه دولة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة 2007.

غ

*الغالي غربي وآخرون، **العدوان الفرنسي على الجزائر، الخلفيات والأبعاد**، منشورات المركز الوطني للدراسات والبحث في الحركة الوطنية وثورة نوفمبر 1954، دار هومة، الجزائر 2007

م

* ابن منظور أبو الفضل جمال ، **لسان العرب**، م. 5، دار صادر، ط. 1، بيروت

* مولود قاسم نايت بالقاسم، **شخصية الجزائر الدولية وهيبتها العالمية قبل عام** 1830، ج. 2، ط. 1 دار البعث، قسنطينة- الجزائر 1985.

* **مذكرات الحاج أحمد باي، ترجمة العربي الزبيري**، ش. و. ن. ت، الجزائر 1973

* **مذكرات أو لمحة تاريخية عن الجزائر**، ترجمة أبي العبد دودو، ش.و.ن.ت الجزائر 1974

* المزاري بن عودة آغا، **طلوع سعد السعود**، تحقيق يحي بوعزيز، ج. 2، دار الغرب الإسلامي، بيروت 1990

* محمد بن عبد القادر الجزائري، **تحفة الزائر**، دار اليقظة، ط. 2، بيروت 1964

ي

* يحي بوعزيز، **الأمير عبد القادر رائد الكفاح الجزائري**، الدار العربية للكتاب والشركة الوطنية للنشر والتوزيع، تونس 1983

* يوسف مناصرية، **مهمة ليون روش في الجزائر والمغرب** (1832 – 1847)، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر 1990

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ثانيا: المصادر والمراجع باللغة الأجنبية:

A

*A M. G. H 15
*A. M. G. H 209
*A.M.G. H 22.
*A.M.G. H227
*A.M. G. H238
*A.N.T. Dossier, 384. Carton 223
*A.O.M. H 10
*A.O.M. 1H223.
* Ali (Efendi), **Souvenir d'un voyage d'Alger à Constantine**, traduit de l'Arabe par De Saulcy, Paris –Metz 183
* Agéron (Ch.), **Le gouvernement du général de Berthezène à Alger en** 1830.
* St Arnaud, **Les premiere années de l' Algérie française**. Robert Laffont, Tours 1978

B

* Bernard (L.), **Histoire de Philippeville** 1838-1903, Philippeville 1903

C

* Charles Féraud:
1- **Les interprètes de l'Armée d'Afrique**, Alger 1878
2- **Histoire des villes de la province de Constantine**, (Bougie), Anolet, Constantine 1868
3- Le Sahara de Constantine, Alger 1887
4- "Les Ben Djellab", in. R.A. N° 24
5-« Note Sur Bougie » , in R.A. année 1858-59
*- Cornulier (L.), **La prise de Bône et Bougie**, d'après des documents inédits, Berger, Paris 1898

D

* DOUIN (G.), **Mohamed Ali et l'expédition d'Alger** (1829-1830), le Caire 1930, document. No. 39
* Démontes (V.), «la mission du commandant Huder à Tunis », in **Bulletin de géographie historique et descriptive**, (?), 1905

E

* Esquer (G.):
1- **Correspondance de Duc de Rovigo (1831-1834) , t. 2, Alger 1920,**
2- **Corresp. de Duc de Rovigo , t. 1, Alger, 1914**

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

F

* France, Guerre (Ministère de la), **Collection des actes du gouvernement**, Imprimerie royale, Paris, 1843

G

* Gaïd Mouloud , **Histoire de Bejaia et de sa région** , s.n.e.d. Alger, 1976.
* Gavoy (Medecin), **Notice sur Tizi - Ouzou**, Victor, Alger 1878.

H

Hamdan (K .) . **Le miroir** , Goetshy , Paris 1933

L

* Leon Berjaud, **Boutin agent de Napoléon 1er et précurseur de l'Algérie Française.**
* Ledrmann (E.), **Philippeville et ses environs**, Philippeville 1935

M

* Marcel Emerit, **Alger en 1830, d'après les mémoires inéditsde le May,** in. **R H M**, no 2, Tunis 1974
* Maurice (C.W.), **La vie du général Yusuf** , 4è édi. Gallimard, Paris, 1930.
* Moniteur algérien, n° 12, du 24 avril 1832.

N

* Nettement (A.), **Histoire de la conquête d'Alger**, Jacques Le Coffre, Paris 1856

R

* Roux (Ch.), **France et Afrique du nord avant 1830**, Félix Alcan, Paris 1932
***Recueil des notices et mémoires: province de Constantine**, vol. 31, Constantine, 1869

S

* Solal (A.), **Philippeville et sa region** (1837- 1870), Alger (!).

T

* Temimi (A.), **Le Beylik de Constantine et haj Ahmed Bey**, Tunis 1978

V

* Valet (R.), **L'Afrique du Nord devant le Parlement au 19 è siècle**, Champion Paris 1924
* Venture De Paradis, « **Alger au 18 è siècle** », **présentation de** Fagan (E.), in. **R.A.** année 1995.

*Yacono (X.), "Les premiers prisoniers algériens de l'Ile Saint Marguerite (1841 1843)", in. R. H. M. No 1, Tunis 1974

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية